

« محور آسيا »

سنكيانغ و حدود آسيا الداخلية المتاخمة لروسيا والصين

الحلقة ٢

بقلم: اوين لاتيمور

ترجمة: رحمة الله احمد رحمتي

الفصل الاول : مركز جديد للجاذبية في العالم

تركستان الشرقية^(١) محور آسيا :

يتكون الآن مركز جاذبي جديد في العالم، وتتصارع عليه قوتان بارزتان في مفهوم القوى السياسية، أحدهما التيارات السياسية التي تهب عليه من روسيا وحلفائها، وثانيها تلك التي تحاول الوصول إليه من أمريكا وحلفائها. أما في الاصطلاح العقائدي فهو الحوض الذي تجري إليه التيارات الفكرية من الصين وروسيا والهند والشرق الأوسط الإسلامي. وتحتل تركستان الشرقية أكبر جزء من البؤرة التي يمتد خلالها هذا المركز الجاذبي الجديد في آسيا الداخلية الصينية. ومثل الهند الصينية فإن ٩٠٪ من سكان تركستان الشرقية هم من غير الصينيين، بل يشعرون أنهم مستعمرون، وغير مواطنين في الجمهورية الصينية ومثل شعوب الهند أيضا ينقسم سكان تركستان الشرقية بما فيهم المجموعات المختلفة دينيا ولغة بينما يعمل الشعور القومي المتنامي على توحيدهم أو تمزيقهم بطريقة أو بأخرى. والإسلام في هذه البلاد، كما هو الهند، ليس ديناً فحسب بل هو قوة سياسية، وأخيراً فإن معظم هؤلاء التركستانيين يتصلون بروابط لغوية وتاريخية مع مختلف الشعوب التي في الاتحاد السوفيتي وجمهورية منغوليا الشعبية وبحرارة أقل مع أفغانستان. والدائرة ذات البعد القطري البالغ ألف ميل تتمركز في أورمجي عاصمة تركستان الشرقية وتضم أنواعاً متباينة من التخوم أكثر تنوعاً مما قد يوجد في مثل تلك المساحة بأي بقعة في العالم.

في هذه الدائرة تتأخم شعوب المغول والصين والتبت والهندو أفغانستان التي تتكلم بأحدى اللغات التركية السائدة في آسيا الداخلية والروسية، كما أن هناك تداخل ديني بين الإسلام والاديان البدائية والبوذية والمسيحية الأرثوذكسية والحاد الروسي. وفيها أيضاً حدود سياسية تفصل بين الدول المستقلة والحكومات الاستعمارية والشعوب المستعمرة والتابعة، والممالك التي استقلت حديثاً مع ريع الاستعمار، وبين مملكة أفغانستان وإمارة كشمير ودولة التبت الكهنوتية أيضاً. وكذلك تتجمع في هذه الدائرة حدود الاتحاد السوفيتي ذا الاقتصاد الصناعي الحديث.

١- المترجم: انني بصدد ترجمة النص الانجليزي الى اللغة العربية وتمسكاً بالاسم القومي التقليدي لهذه البلاد فقد أثرت ان اترجم سنكيانغ الى تركستان الشرقية.

وجمهورية منغوليا الشعبية ذات الاقتصاد البدائي السريع التغيير. وحرف قبائل القازان والمغول الرعوية التقليدية في تركستان الشرقية والنشاط الزراعي القديم في الصين وقد اخترقت هذه المنطقة الى حد ما - بعض وسائل التغيير الحديث مثل سكة الحديد و مصنع آلي، ولكن تتميز كل منطقة فيها بنشاط اقتصادي معين، مثل واحات آسيا الداخلية والقرغيز سكان جبال تنكري وسكان الهضاب العالية مثل شعب سريع كول في جبال بامير. على أي حال في هذه الدائرة التي تزدحم بالحدود والمتباينة المتنوعة لاتوجد دولة واحدة تصلح ان تكون مركز النشاط رأسمالي حرتنظمه سياسيا مؤسسات ديمقراطية مثلما هو في اوربا الغربية وامريكا الشمالية. وفي تركستان الشرقية او حولها في الهند وباكستان و افغانستان و منغوليا والصين لاتوجد حركة سياسية واحدة تهتم بالدفاع عن ديمقراطية قديمة متأصلة، لأن في هذه المناطق لاتوجد مثل تلك الديمقراطية. بل لا يوجد بأي بقعة في آسيا اتجاه نحو الديمقراطية يهتم بالشكل والمضمون مثلما هو معروف في أمريكا (٢) وتحتل تركستان الشرقية موقفا محوريا في خضم هذه المشاكل من التغيير والتبدل. واذا اردنا فهم هذه المشاكل لابد من دراستها بتمعن على ضوء نتائج تطورها التاريخي.

المدخل التاريخي :

تقع تركستان الشرقية في نطاق تأثير السياسة الصينية لاكثر من ألف عام ولكن التأثير والتحكم والسيطرة الصينية عليها كان متقطعا. فعندما تهتم الصين بحروبها وتجارتها الخارجية مع جيرانها المتاخمين تصبح تركستان الشرقية مركز الاهتمامها. وفي القرن التاسع عشر الميلادي عندما تعرضت الصين لنفوذ اجنبية نتيجة لمعاهدة الموانئ الساحلية خبت اهمية تركستان الشرقية ثم ما لبث ان تجدد الاهتمام بها في عهد الثورات الاسلامية، ثم عاد اليها الاهتمام حديثا لأن منطقة الحدود الصينية - السوفياتية كلها، غدت من المناطق التي تقرر ميزان القوى السياسية في العالم.

ان المواد التاريخية لآسيا الداخلية وفيرة خاصة ذلك الى جانب التواريخ الصينية. القديمة توجد مصادر مكتوبة بكافة اللغات المحلية في آسيا الداخلية نفسها، وقد تم اكتشاف بعضها فقط حديثا وبشكل خيالي، والاكتشاف الحديث لحضارة آسيا الداخلية القديمة بدأ في عام ١٨٧٩ م على إثر عودة عالم نباتي روسي من تركستان يحمل اخبارا عن آثار مدينة قديمة قرب تورخمان، اعتقد انها مستوطنة رومانية. وبعد ذلك توالى الرحالة الاوربيون العائدون منها يتحدثون عن مدن قديمة مدفونة تحت رمال صحراء تكلا مكان. كما حصل الرحالة على تماثيل صغيرة وصور خزفية واواني فخارية ونقود معدنية وغيرها من الآثار الصغيرة، من باحثي الكنوز المحليين الذين اكتشفوها في الاماكن القديمة. وعموما كانت هذه الاشياء على درجة عالية من الاتقان، وتماثل الاشكال اليونانية القديمة وكان بينها ايضا نصوص بوذية قديمة كتبت على لحاء الاشجار باللغة الهندية البدائية.

لاتوجد صلة حية تربط بين فلاحي ورعاة وتجار وفناني المسلمين البسطاء بسكان آسيا الداخلية في القرن التاسع عشر الميلادي، وبين تلك المكتشفات الفنية والادبية القيمة. بيد ان التواريخ الصينية، وخاصة تاريخ عائلتي هان وتانغ تعطي - معلومات كثيرة عن فخامة عدد من ممالك الواحات في البلدان الغربية، تبدأ من القرن الثاني قبل الميلاد الى القرن التاسع. وفي مؤلفات حاجين بوذيين صينيين مشهورين، هما فاهسين (Fa Hsien) وهسوان تسانغ (Hsuan Tsang) اللذان عبرا المنطقة في القرنين الخامس والسابع الميلاديين نجدا و صافارائفة عن معابد ودير عظيمة كانت مركزا عبادة ودراسة في تركستان الشرقية حينذاك.

٢- المترجم : ان هذه المقولة هي وجهة نظر مستشرق من أورمجي لم يحاول دراسة الحياة الحضارية التي مرت بالشعوب المسلمة وعاشتها ابان العصور المظلمة في اوربا، والتخلف الذي تعيشه بعض الشعوب الاسلامية هي نتائج سياسية للحركات الاستعمارية الاوربية التي تتصف شعوبها بالديمقراطية.

وفي عام ١٨٩٠ م بدأت البعثات العلمية حفرياتها لاستكشاف حضارة آسيا الوسطى البوذية المفقودة، وبعد فترة وجيزة من العمل أصبح واضحاً بأن الآثار العلمية والادبية المتوفرة كانت اعظم مما كان متوقفاً وفي العقد الاول من هذا القرن انهمكت بعثات اثرية من انجلترا وروسيا وفرنسا والمانيا واليابان في منافسة حية لاستكشاف مواقع جديدة لأخذ المخطوطات واللوحات والتماثيل.

ومن آسيا الداخلية جلبت البعثات العلمية اقدم الآثار التاريخية لأقدم مجتمع انساني ويمكن الآن تتبع تاريخ آسيا الداخلية لما قبل التاريخ الى عهد هجرات وتجارة العصر الحجري التي نشطت في كل الاراضي التي تقع بين اوربا والصين.

وفي فجر التاريخ كان التوزيع البشري على وجه الارض ضئيلاً وفي مجموعات اجتماعية صغيرة جداً، لذا يخطئ من يعتقد بوجود مناطق جغرافية تتحكم على أخرى في تلك العهود الغابرة، ولعل منطقتي البحر الاسود في اوربا وحوض النهر الاصفر في الصين هما اكثر سكاناً من منطقة آسيا الداخلية مما كانت عليها على شواطئ البحر الاسود ووادي النهر الاصفر.

وقد عبر آسيا الداخلية اقدم طريق تاريخي للتجارة والسياحة والحضارة المتنوعة بين البحر الاسود وحوض النهر الاصفر، ولكن هذا الطريق الذي ظهر مع هجرات انسان العصر الحجري الاول تتضح شواهد الاثرية في العصر الحجري الحديث (١). وفي ارض هذا الطريق ظهرت ثلاث مجتمعات قديمة، ذات صلة وعلاقة فيما بينها في الطريق الجنوبي سكنت الشعوب الزراعية الواحات التي توفر فيها المياه وفي الطريق الشمالي حيث الغابات الشاسعة التي تمتد من روسيا عبر سيبيريا الى منشوريا عاشت فيها قبائل الغاب، وفي الوسط بينهما استوطن البدو الرعاة.

كانت جماعة البدو الرعاة هي ثالث مجتمع يتكون اخيراً بعد المجتمعين الاولين، بل هو في الواقع انبثق منهما، ذلك لأن بعض الصيادين تمكن من تأنيس الحيوانات ثم انتقل يرعاها في المراعي، وبالمثل فان جماعة من سكان الواحات في الجنوب تمكنت من تأنيس الحيوانات وتركت حرفة الزراعة وتحركت الى الهوف تمارس مهنة الرعي وهكذا تشكل بدو الهوب وكانوا على صلة بكل من قبائل الغاب والشعوب الزراعية. واصبح منطقة الطريق التي استوطنها هؤلاء البدو مجتمع ينبض بحركة التجارة والهجرة والغزوات وعبر هذا الصمام بدأت الصين تمارس ضغطاً على آسيا الداخلية في عهد عائلة هان (٢٠٦ ق.م - ٢٢٠ م) وكانت الصين قد اصبحت امبراطورية متحضرة يقوم اقتصادها على الزراعة داخل حدودها الداتية، ومثل الامبراطورية الرومانية المعاصرة لها، واجهت ف الشمال مشاكل القبائل البربرية التي ترفض الحضارة الصينية وتقاوم سيطرة الدولة الصينية.

ظهرت السياسة الخارجية الصينية الاولى في اسلوب معالجتها لمشكلة برابرة الشمال وبدأت بالتفكير في عزل البرابرة طبيعياً عن الاراضي التي يسكنها الصينيون الزراعيون والمتمدنون فبنت السور العظيم، مثلما عملت الامبراطورية الرومانية وبين البرابرة التيتونيين والسلافيين.

ومهما يكن فقد اكتشف الصينيون بان البرابرة الدين صدوهم عن حضارتهم بالسور العظيم وتركوهم في الظلام ليسوا مجرد جماعات متوحشة بل يملكون قهرات اجتماعية وسياسية وعسكرية تمكنهم من التغلب على السور العظيم وسياسة الصين الحدودية إذ أدرك البرابرة بان قبائلهم الصغيرة المتنازعة لن تصمد طويلاً في مقاومة الامبراطورية الصينية القوية، فاشعلت الحروب القبلية بينها بسرعة ادرت الى اخضاع رؤساء القبائل الصغيرة لحاكم اعلى يخضع له جميع البدو. وهكذا ظهرت امبراطورية الصين المتحدة.

تقع تركستان الشرقية بعد نهاية السور العظيم في الشمال الغربي بآسيا الداخلية وفي الطرف الجنوبي الغربي لأمبراطورية هسوينغ نو Hsuing - Nu واصبحت بهذا الموقع

منطقة استراتيجية هامة، ولكن واحات آسيا الداخلية الخصبة المتناثرة في الصحاري والسهول والجبال استطاعت ان تكون مدنا مزدهرة الا ان ذلك لم يساعدها على تكوين دولة قوية، كما ان بعدها عن الصين وصعوبة المواصلات بينهما حال دون احاقها بدولة الصين اقتصاديا وبقيت هذه الواحات تتاجر مع هسوينغ نو Hsuing-Nu وتدفع لهم الجزية ومع ذلك كانت مصدر خطر قوي للبدو. ثم رأّت الصين ضرورة احتلال اكبر عدد من الواحات تستخدمها نقاط عسكرية تقوم فيها بدور الدولة الحامية وتمنع من سقوط بقية الواحات في يد هسوينغ نو (Hsiung-nu) كحل لك حتى تكون تجارة الواحات معها وليس مع هسوينغ (1) (Hsuing-nu) وهكذا كانت دوافع التوسع الصيني التجاري في آسيا الداخلية سياسيا على المدى الطويل، وكان هدف سياستها الاستعمارية هو ربط الواحات بالصين ولم يكن سبب ذلك باعث النمو الاقتصادي في البحث عن اسواق تروج فيها المنتجات الفائضة.

وخلال تغفل الصين في تركستان الشرقية لأول مرة لم يجد الصينيون حياة بربرية فحسب بل حضارة مدنية زراعية رفيعة المستوى مثل حضارتهم. وهناك قصة من القرن الاول تفيد بان شعب آسيا الداخلية بالرغم من تقديره لقوة الصين، لم يقبل على حضارة الصين فقد اقام حاكم واحة كوجار، كتابع مطيع، في البلاط الصيني عاما، وعاد مع زوجة صينية وبنى قصرا على الطراز الصيني، واقتبس من الصين طراز المعابد والعادات والموسيقى والنظم الادارية الصينية. بيد ان شعب كوجار سخر من هذا التقليد واصفا ذلك بانه ثقافة بغل عقيم يتكون من حصان وحصار.

ان حضارة واحات آسيا الداخلية العالية ازدهرت من احتكاكها بالمناطق الحضارية المجاورة. ففي الجنوب اسس جاندراغوبتا Chandragupta معاصر اسكندر الاكبر الذي يسميه اليونانيون ساندروكوتوس Sandrocottus مبراطورية في شمال غرب الهند وهي اهم دولة متحضرة آنذاك وحفيده اسوكا Ashoka الذي اعتلى الحكم تمام قبيل بدء حكم عائلة هان في الصين وجعل البوذية دين الدولة. وفي الحال بدأت البعثات البوذية لنشر ذلك الدين في واحات آسيا لداخية، ثم كان من احد نتائج وصول الصينيين الى تركستان الشرقية دخول البوذية منها الى الصين وفي الواقع لم يكن الصينيون وحدهم حملة حضارة عالية خلال توسعهم في آسيا الداخلية، بل عاد الصينيون الى بلادهم وهم يحملون افكارا وعادات قوبلت بالاستحسان في الصين.

وفي هذا التاريخ حدثت اتصالات الصينيين بالمراكز الحضارية في ايران غرب آسيا الداخلية، وهي وان كانت اقل اثرا مما جاء من الهند لكنها ذات اهمية. اذ ان من منطقة ايران انتقلت الى آسيا الداخلية هندسة الري المتطورة التي ساعدت اهالي الواحات الصغيرة ذات السكان الكثيف والحضارة الرفيعة في تأمين قوتها، وامن واحات تركستان الشرقية اقتبسها الصينيون. في عهد عائلة هان في الصين كانت كل امبراطورية عظيمة في العالم آنذاك قد توسعت عن مراكزها واحاطت حدودها بسور يعزل البرابرة عنه وفي المنطقة التي تقع بين ايران والاراضي للسوفيتية المعروفة اليوم كان التباين الجغرافي ليس واضحا تماما بين منطقة تلائم الزراعة واخرى تناسب الرعاة. كما هو على طول السور الصيني العظيم. ولكن شيدت في هذه المنطقة اسوار للحدود بهدف منع اعتداءات البدو (2) كما حدث ايضا في القديم (3).

١- هذه الخلاصة التي انتهى اليه الكاتب لانتفق مع وقائع التاريخ لاقتصار هذه الدراسة على المراجع الصينية المعروفة اتجاهه انحو الاثراك وتركستان. لقد نسي الكاتب ان يذكر الدول التركية التي قامت في شمال وغرب الصين التي كانت من مواطني الاثراك القدماء. وكذلك العديد من الدول التي نشأت في تركستان الشرقية قبل الميلاد وبعده وكانت نفوذ سياسي واقتصادي وثقافي في الدول المجاورة. ويصادفنا في هذا الكتاب كثير من هذه الامور فهو قائم كما اسلفت بصفة رئيسية على المراجع الصينية.

١- W.Barthold, Histoire des Turcs d'Asie Central, 1945, p.32.

٢- K. Grinevich, "Defense of the Cimmerian Bosphorous", Journal of Ancient History, Moscow, Leningrad, 1946. No.2, pp. 160-164.

ويتضح من بناء الامبراطورية الرومانية لاسوار حدودها بان هذه ظاهرة مشتركة للحضارات العظيمة في تلك الفترة حيث انها جميعا عانت من الممالك البربرية في الشمال ولقيت منها تهديدات مؤقتة، ولكن لم ترغب في غزوها وسيطرتها لان اقامة اسوار الحدود تشير الى خط اقامته الدولة بهدف الدفاع عن نفسها، ولا ترغب في التوسع خلفه.

تشابه هذه الامبراطوريات القديمة في كيانها ومشاكلها التي واجهتها على طول حدودها البربرية بصفة رئيسية، ذلك لان قبيل تلك الفترة مرت عليها بضعة قرون من التطور السريع الملحوظ فقد اصبح الحديد اكثر شيوعا، ولم يحتل مكانا كمكان البرونز فقط بل اصبح استعمال الحديد الحديد.

ممكنا في تصنيع الاسلحة وادوات الزراعة التي استمر صنعها من الحجر في العصر البرونزي وتكاثرت الجماعات الزراعية بسرعة ادت الى انتشارها واستصلاح اراضي لم يسبق ان زرعت ثم اصبح العالم الزراعي الذي يمتد من بريطانيا الى المحيط الهادي اكثر تماسكا ورغبة في عزل برابرة الغاب وقبائل السهول وقد تنوعت المهن وظهرت حرف تخصصية في الامبراطوريات المتحضرة كما توثقت العلاقة المدنية والريف، وصارت الطبقات الزراعية والاجتماعية متميزة بعضها عن بعض واخيرا برزت دول سياسية متطورة ذات اتساع جغرافي وكيان معقد. وتلا هذا الازدهار السريع فترة انحطاط فيما بين ٢٠٠ - ٦٠٠ م. واصاب الدول العظيمة الاجهاد من الاستنزاف الاقتصادي مع حروبها على الحدود، وكذلك من الازمات الداخلية التي برزت بسبب تزايد الاثرياء غني والفقراء فقرا. وتشكلت ممالك جديدة في هذه الفترة ومنها دول الحدود التي فضلت سيادتها وسيادة البرابرة الغزاة.

وفي الصين كان اتجاه الحكام في اعتناق البوذية التي تمثل معلما حضاريا هاما في استمرارية الاتصال بآسيا الداخلية وفي هذا الوقت أي في القرن الخامس عبر الحاج الصيني فهاهسين (Fa-Hsien) واحة (١) خوتن في طريقه الى الهند، وصف أربعة معابد عظيمة وعدد من الدائرة الصغيرة، واقام مع رفقاءه الصينيين في اح المعابد الذي يشع ثلاثة آلاف راهب في وقت واحد يتناولون طعامهم بانتظام وهدوء تام. كما وصف معبدا جديدا قرب المدينة ويقول ان بناءه استغرق ثمانين عاما واستمر ثلاثة عهود. وهذا المعبد رائع الزخرفة بديع النقوش المفطاة بالذهب والفضة والمنمقة بالحجار الكريمة واما قاعة البوذا فهي آية في الجمال - والفخامة عوارضها و انصابها وابوابها ونوافدها موشاة بالذهب، وبجانبيها حجرات الرهبان الرائعة التي يعجز البيان عن وصفها .

لاشك ان روعة هذه المباني وزخرفتها الفنية تعكس بالطبع ثراء دول الواحات وتجارتها الرائجة ويعني هذا الوصف ايضا وفرة الغذاء الناتج من اراضي المعابد الزراعية، وانجاز مثل هذه المشاريع العمرانية الضخمة قد تم جزئيا بتشغيل العبيد اجباريا في فصل الشتاء وكذلك استخدام اسرى الحرب التي تنشب بين الممالك البربرية، ثم استعبدهم سكان الاراضي المتحضرة بالشراء. ونحن نعرف وجود طريق يأتي منه العبيد وهو يمتد بالخاص نحو الغرب.

وتقريبا في عام ٦٠٠ م بدأت الامبراطوريات العظيمة تظهر مرة اخرى على مسرح التاريخ . وفي الصين برزت عائلة تانغ (Tang) التي حكمت فيما بين ٦١٨ - ٩٠٧ م. كما ظهرت في هذه الفترة ايضا الفتوحات العربية، وبلغت الامبراطورية البيزنطية اوج قوتها ونفوذها، وتربع شارلمان على عرش الفرنج وامبراطورية الرومان في عام ٨٠٠ م.

في عهد عائلة تانغ (Tang) كانت مراكز الجاذبية قريبة من المحيط الحضاري وتمثلت القوة الاستعمارية في استخدام القوى العسكرية التي كونت اصلا من البرابرة، وكذلك في

١- تحمل معظم المدن الكبيرة في تركستان الشرقية ثلاثة اسماء على الاقل. وهي اويغورية وقازاقية ومغولية وفي عهد الحكم المانشوري والجمهوري استعملت الاسماء الصينية وبعضها تحمل عدة اسماء اخرى. وقد استعملنا في هذا الكتاب الاسماء التي يطلقونها عليها باللغة المحلية تجنباً للتباس .

استحصل الجزية من المنتجات الزراعي والمدنية وعوائد التجارة واعتمدت امثال هذه الامبراطورية على قدرتها في المناورة الحربية ضد البرابرة وذلك بدلا من الاعتماد الكلي على اسوار الحدود وعملا بالقاعدة التي تشير بان تشكل الحكومات بين البدو يتبع نمط الحكومات المتحضرة التي تكونت في الجوار، فقد ظهر في هذه الفترة عدد من الشعوب القبلية في السهول، مثل اترك الاورغون في منغوليا والايغور وامم تركية اخرى في آسيا الداخلية، ودول الخزر والبلغار والبشناق في السهل مابين بحري قزوين والاسود.

وفي هذه الفترة احتفظت تركستان الشرقية ايضا بموقعها المحوري بين الصين والهند وايران ثم السهل الروسي الجنوبي في المستقبل، واشتركت في بناء حضارتها تيارات ثقافية قوية من الهند وايران والشرق الادنى مما كان من التأثير الصيني، وسافر تجارها الى الآفاق. وفي القرن التاسع الميلادي وجدت جماعات من تجار تركستان الشرقية في شيان (جانفان Ch'angan) عاصمة تانغ (Tang) ولويانغ (Loyang) في وسط وادي على النهر الاصفر ويانغ جو (Yang chow) على نهر يانغتسي (Yangtze) وفي كانتون ايضا على شاطئ الصين الجنوبي (١) وق دحمل اولئك التجار معهم الى تلك الاصقاع ممارساتهم الدينية للاديان التي اعتنقوها مثل الزرادشتية والمانوية والنسطورية المسيحية والبوذية ثم الاسلام (٢). ان رحلة الحج التقليدية من الصين عبر آسي الداخلية الى مراكز التعليم البوذي اوي في استمرارها الى تزايد النفوذ الصيني عموما فعندما اتجه الحاج هسوان تانغ (Hsuan Tsang) من قمول الى الغرب في القرن السابع شاهد ثلاثة رهبان صينيين فقط، وبعد مائة عام تقريبا وجدت جماعات من الرهبان الصينيين في كوجار وكاشغر وخوتن، وكان من اعمالهم اعطاء قروض ربوية للمواطنين.

ويكتب هسوانغ تانغ (Hsuan Tsang) نفسه عن مدينته آقسو فيقول: تقاليد الناس وطبقاتهم وطبائعهم وكتاباتهم تتماثل بما هو موجود في كوجار وتختلف نوعا ما لهجاتهم، وتوجد عدة معابد واكثر من الف راهب في آقسو، ويتصف سكانها عموما الخداع والطمع وكثيرا يمتن القرض بين الاب وابنه، والناس لايهتمون بالاخلاق وكلهم يعبدون الثراء. ويكاد الغني يعيش في بؤس، فهورث الثياب ومقل في الطعام. ويظهر ان نصف السكان يشتغل في التجارة والنصف الآخر يمتن الزراعة.

في هذا الوقت غزا التبتون تركستان الشرقية وشمال غرب الصين ولم يدم بقاءهم في تركستان الشرقية ولكن استمرت سيطرتهم على المملكة الحدودية هسي هسيا (Hsi Hsia) اوتانفوت في شمال غرب الصين، وكان عاصمة تلك المملكة في نينغ شيا (Ning-shia) على النهر الاصفر، وسكانها خليط من المزارعين الدين يتكلمون الصينية والتركية ومن البدو والرعاة ولغاتهم التبتية والتركية والمغولية. ونتج عن هذه الغزوة ان دخلت المؤثرات الزرادشتية والمانوية والنسطورية المسيحية الى التبت من آسيا الداخلية، وساهمت في تحويل البوذية الشمالية الى دين مرن جديد وهو البوذية اللامية.

والاهم من هذا كله هو حركة الغزاة الاتراك الايغور والقرلوق والقرغيز وغيرهم فوجا بعد فوج من اطراف السهول الشمالية في آسيا الداخلية وحواف غابات سيبيريا الجنوبية الى مواضع وضعت في ايديهم طرق التجارة وسلطة الواحات. وبالتحريج اعتنق هؤلاء الاتراك الاسلام وحلت لغاتهم محل اللغات الهندو - اوربية والهندو - ايرانية التي كانت سائدة حتى ذلك الوقت في الواحات، وفي نهاية هذه العملية المزدوجة التي لم تكتمل حتى بعد زوال عهد

-١- Hsiang Ta, "The Chang-an of the T'ang Dynasty and the Civilization of the Western Regions", Yenching Journal of Chinese Studies, Monograph Series No. 2, Peiping 1933.

Wang Jih-wei, "The Iranians in Sinkiang", in Yu-kung Peiping, August 1, 1935, Vol. 3, No. 11, p. 1-9.

عائلة تانغ (T'ang) سادت اللغة التركية بلهجاتها المختلفة كل الاراضي التي تمتد من حدود ايران الى حدود الصين، وسيطر الاسلام على كل الطريق من شمال غرب الصين الى البحر الاسود.

ان اشكال الهجرات التي ساهمت في هذه التغيرات ذات أهمية بالغة، لانها لم تترك اماكنها التي نشأت فيها اصلا خالية تماما، كما انها لم تقضي او تطر سكان الاراضي التي استوطنتها ان الاشكال النموذجية للحركة التي يستخدم تفسيرها باصطلاح الهجرة والغزو بدون تمييز كاف هي حركات لعصابات من المحاربين وليست حركة شعب كامل انبثق منه هؤلاء المحاربين.

ذلك لأن هذه العصابات من المحاربين تشن غاراتها بهدف النهب، ثم تستوطن للابد في المناطق التي منها يأخذون الجزية السنوية. اذ ليس في مصلحتهم اباداة السكان الذين يدفعون لهم التاتوة. وكثيرا ما نجح الحكام المغلوبون في قيادة عصابات من اتباعهم للهجرة والغزو الى منطقة اخرى، وهكذا فان انتقال الاسماء القبلية كان اوسع من هجرة كل القبائل، وان احفاد الشعوب الهندو - اوربية والهندو - ايرانية الاصلاء في آسيا الداخلية، بالرغم من تترك لغتهم واعتناقهم لاسلام. استمر روا يشكلون جزءا كبيرا من السكان، خاصة في الواحات. وفي القرن العاشر حدثت تطورات جديدة وبلغت هذه التطورات ذروتها في الغزوات المغولية التي بدأت في اوائل القرن الثالث عشر، واستمرت الى ان تمزقت الامبراطورية المغولية في القرن الرابع عشر وفي هذه الفترة انتقل بدو السهول الفخزة من ممالك نشأت على حدود المناطق الحضارية الى امبراطوريات تقع عواصمها وسط المناطق الحضارية القديمة. ومن هذه الزاوية لابد من ملاحظة التطورات التي حدثت في الصين والهند وايران وجنوب روسيا. لقد اقام الخيتائيون قبائل منشوريا الغربية ومنغوليا الشرقية امبراطورية لياو (Liao) فيما بين السور العظيم وسهول النهر الاصفر في شمال الصين. ثم بعدهم انشأ الجورشيديون امبراطورية كين (Kin) اوجين (Chin)، وتقع بلادهم الاصلية في منشوريا على مسافة ابعد من السور العظيم من سهول الخيتائيين، ولكن انطلق محاربوهم عبر النهر الاصفر الى مشارف نهر يانغتس (Yangtze) (1).

ثم في بداية القرن الثالث عشر ادت فتوحات جنكيز خان الى قيام امبراطورية تمتد من شمال الصين الى جنوب روسيا، ولكن تمزقت هذه الامبراطورية بسرعة الى ممالك ودويلات يحكم ابناؤه واحفاده، وتتمت عملية التقسيم بسرعة وفوضى، وظهرت دولة القبيلة الذهبية في جنوب روسيا وعائلة يوان (Yuan) في الصين، وهما اكثر الدول المغولية تماسكا، اما آسيا الداخلية فقد وقعت بينهما، تتجه الى الاستقلال عنهما.

انتهى حكم المغول في الصين ببزوغ دولة عائلة منغ (Ming) في عام 1368، وبعد قرن واحد من زوالهم في الصين ضعفت دولتهم في روسيا. وذهبت شوكة المغول عموما، فبعد الطاحاة بحكمهم انطلقت غزوات الصينيين للى منغوليا، ولكن النفوذ للصيني

1- Chavannes, E, Documents Chinois..., Oxford, 1913.

Stein, A., "Ancient Khotan, Oxford, 1907, Vol. 2, p. 527.

Hsuan Tsang, Ta T'ang Hsi Yu Chi, Shanghai, 1922, Vol. I.

١- عندما قضى الجورشيديون على دولة خيتاي، هاجرت جماعة من الخيتا عبر منغوليا الى الشمال الغربي، واسست دولة قره خيتاي في المنطقة التي تتجمع فيها حاليا حدود تركستان الشرقية ومنغوليا وسيبيريا. وخلال حكم دولتي خيتاي وجورشيدي خضع شمال غرب الصين لسيطرة دولة تانغوت او هسي هسيا (Hsi Hsia) التي كانت تحت نفوذ التبت. وبهذا لم تكن الواحات او شعوب سهول آسيا الداخلية على اتصال مع دولة صينية يحكمها صينيون في هذه الفترة. كما ان الفتوحات الاسلامية قطعت علاقة آسيا الداخلية بالهند القديمة والحضارات الايرانية.

كان محدودا جدا في آسيا الداخلية في اغلب فترة حكم عائلة منغ (Ming) ١٣٦٨ - ١٦٤٤ م ونادرا ما امتد نفوذهم المباشر الى ماوراء قملول وتورفان اقرب اكبر واحتين لهم في تركستان الشرقية (١).

والوضع حول آسيا الداخلية كان ماثلا، فالحضارة التي عانت من وحشية المغول استعادت نشاطها وان جبت دولا جديدة، وان لم تكن قوية بالقدر الذي يمكنه من غزو آسيا الداخلية بالإضافة الى ظهور الملاحين العرب والهنود والصينيين واهتمامهم بالتجارة البحرية نسبيا قلل من اهمية المنطقة ولولا ذلك لكانت آسيا الداخلية تلعب دورا بارزا في تشجيع التجارة على الطرق البرية الطويلة وتسبب هذا الامر في اهمال شأن آسيا الداخلية بضعة قرون. وفي هذه الفترة ظهر عدد من الدول الصغيرة، ومع نهاية القرن السادس عشر الميلادي اختفت البقية الباقية من مظاهر البوذية والمسيحية في الواحات، واستقر الاسلام بدون منازع دينا لسكان هذه المنطقة، ماعدا تمسك المغول بالبوذية التبتية (الامية). وفيما بين القرنين ١٤ - ١٧ حكم المغول من احفاد المحاربين المغول الدين اصبحت التركية لغتهم و الاسلام دينهم هذه الواحات، وانفصل ملوكهم الدين يدعون انتسابهم الى جغتاي ولد جنكيز خان - وهو ادعاء مشكوك فيه - من دولة جغتاي في تركستان الغربية في القرن الرابع عشر وفي القرن الخامس عشر ظهر نوع جديد من الحكام، غير مألوف في الممالك الاسلامية، مهم الامراء الدينيون حيث نصب الخوارج انفسهم حكاما منافسين للملوك التقليديين (٢) ثم في القرن السابع عشر تولى الخوارج حكم واحات تركستان الشرقية مباشرة بعد تغلبهم على ملوك المغول المتحاربين فيها.

وفي السهول توزعت القوى الى ثلاث مجموعات بدوية، فقد سيطر القازاق والبدو الناطقون بالتركية في آسيا الداخلية الروسية وفي الشرق تولت قبائل خالاس حكم المغول بعد عدة حروب قبلية في منغوليا الخارجية، اما في الوسط أي في شمال تركستان الشرقية والمنغوليا الغربية سادت قبائل اورات التي يسميها الروس قالموق (٢) وهم من المغول الغربيين.

وفي عام ١٤٠٠، عند ما اتخذ المغول في غرب وجنوب آسيا الداخلية الاسلام دينا والتركية لغة لهم بقي مغول اويرات متمسكين بالمنغولية لغة، وبعدهم للاسلام ثم شكلت قبائل اويرات تحالف حربي مكنهم من غزو غرب آسيا الداخلية والواحات الجنوبية والتبت، وفي القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر الميلادي نصب افراد هذا التحالف انفسهم ملوكا على موطن المغول القديم كله ومن اجل تحطيم هذه الدولة الفتية شن المنشوريون بعد استيلائهم على الصين حربا ضروسا ضدها واستولت القوات المانشورية الصينية على تركستان الشرقية وقضت على اتحاد المغول الغربي في القرن الثامن عشر الميلادي. وفي هذه الفترة ذاتها بدأ الروس في زحفهم الى سيبيريا و آسيا الداخلية وكذلك التوسع البريطاني في الهند الى افغانستان وبامير والتبت وهذه العمليات الثلاث ساهمت في صنع تاريخ العالم الحديث.

١- D. Pokotilov, History of the Eastern Mongols in the Period of the Ming Dynasty, 1368-1634 based upon Chinese sources St.Petersburg

١٨٩٣ باللفة الروسية وقد ترجمها الى الانجليزية ولوفلوينشا (Lowenthal) ونشرت في جنغفو (Cheng-tu) عام ١٩٤٧ م في سلسلة الدراسات من معهد تدقيق الدراسات الحضارية الصينية من جامعة غرب الصين المتحد رقم واحد.

٣- اساس هذه الاسرة الجديدة من الامراء الدينيين خوجه مخدوم اعظم الذي ادعى انه من احفاد الرسول (صلى الله عليه وسلم) الي كاشغر من بخارى، وامتلاكهم للاراضي وحصولهم على الجزية والضرائب جعلت من الخوارج نبلاء اقطاعيين، علاوة على انهم حكام دينيين.

١- كانت قبائل اويرات اصلا من منطقة بحيرة بيكال وبوريات نفوا الحالية، وتكونت قبائل هذه المنطقة من صيادي الغابة وبدو المراعي قديما، وانتقال قبائل اويرات في آسيا الداخلية حدث اثناء حروب جنكيزخان التي ادت الى التغيير في تشكيل وانشاء قبائل المغول.

بيد أنه في القرن التاسع عشر اندلعت ثورات المسلمين الدامية ضد المانشور في الصين وتركستان الشرقية. وبعد قمع هذه الثورات وضعت تركستان تحت نظام حكم اداري مشابه لما هو سائد في المقاطعات الصينية الاخرى حيث تحولت من مستعمرة الى مقاطعة صينية في عام ١٨٨٤ وبعد عام ١٩١١ كانت تركستان الشرقية مقاطعة صينية بالاسم فقط، وذلك لأن ممارسة حكام الصين لسلطاتهم الفعلية ذاتيا، ادى الى استقلال في علاقاتهم الخارجية احيانا وعقد صلات مستقلة مع روسيا والهند، بل مع حكومة الصين الوطنية المركزية نفسها ايضا وتمثل الوجود الصيني في تركستان لشرقية في صيغة علاقات ادارة المقاطعة الصينية والحكومة الوطنية المركزية ثم صلح كل منها مع الهند وبالاخص مع روسيا، وكذلك جهود ادارة المقاطعة المحلية و سلطات الحكومة المركزية لمواجهة المطالب الوطنية لسكان تركستان الشرقية اللأ صينيين.

ان الشعور الوطني في تركستان الشرقية قد انبثق حديثا من الثورات القبلية والاسلامية التقليدية ضد الحكم الصيني. واتخذ اشكالا جديدة في ثلاثينات هذا القرن عن دما تولى حكم تركستان الشرقية مفامر عسكري صيني يسمى شنغشي تساي Sheng Shih-tsai طلب تعزيزات عسكرية من الصين خشية ابعاده امن الحكم ونهج سياسة جديدة بالاعتماد على مساعدة كل قومية محكومة على حده، ومنع ائتلاف واتحاد هذه القوميات في نفس الوقت وكذلك شجع على التجارة مع روسيا وحصل على قروض روسية وبعث الطلاب الاويغوريون وغيرهم الى الاتحاد السوفيتي بهدف التعليم والتدريب الفني ثم فجأة في عام ١٩٤٣ قطع صلته بروسيا ورجع لسيادة حكومة الصين الوطنية ثم اعاد تطبيق سياسة العنف ضد الشعوب اللأ صينية ولكن الوطنية كانت قد تأصلت في نفوس سكان تركستان الشرقية.

واليوم في تركستان الشرقية توجد حركتان طنيتان احدهما تقول بان تركستان الشرقية للاويغور وتعمل على نيل الحكم الذاتي من الصينيين وفي نفس الوقت تحاول بسط سيطرة الاويغور على الشعوب الاخرى. واما الحركة الثانية فتقول بالوحدة الوطنية، ويتمركز دعائها في غولجه وتسعى هذه الحركة الى تجميع القوميات الاخرى في ائتلاف وطني واحد. ولكنها مثل حركة اذربيجان الوطنية في ايران تميل للاتحاد السوفيتي، فقد ولد او تعلم بعض زعمائهم في الاراضي السوفيتية.

القوى المسيطرة على مركز الجاذبية

ان مشاكل الصين الاستعمارية في آسيا الداخلية قد صاغت القوى السياسية الكبرى المحيطة بها والمصالح السياسية لأمريكا وبريطانيا شديدة الحساسية لان تغييرات في المنطقة التي تلتقي فيها حدود الصين وروسيا.

قبل عصر كولمبوس كانت حركة الانسان ومشاريعه على اليابسة اكثر نشاطا واهمية مما هي في البحار المالحة. والرحلات البحرية والاستكشافات الاولى التي عبرت محيطات الهند والاطلسي وحتى الهادي وبلغت جزر المحيط الهادي. انطلقت من آسيا، وهي جزء من اليابس موطن نشاط الانسان بين تلك المحيطات. علاوة على ان اتصال الثقافات والحضارات الانسانية العظيمة تم في منطقة اوراسيا وشمال افريقيا.

ومع رحلات الملاحين البحرية والتجار الواسع بدأ عهد جديد من التاريخ في نهاية القرن الخامس عشر حيث تم استيطان امريكا الشمالية واستعمار امريكا الوسطى والجنوبية وغزو الهند وجنوب شرق آسيا الذي نتج عن نشاط استيطان الانسان الاوربي في البحار على اثر ظهور هذا النشاط الجديد خمد الاهتمام بآسيا الداخلية التي كانت حلقة اتصال عالمي وقلت اهميتها التجارية والاستراتيجية. ثم تلى ذلك فترة من الوقت تقدر بخمسين سنة من ١٥٨٠ - ١٦٣٠ م جرى فيها تاريخ مختلف انحاء العالم في مصب واحد يشكل تاريخ العالم الحقيقي ذلك لانه في عام ١٥٩٠ دفع الروس باليرماك الى سيبيريا لاهتمام التجار في توسيع تجارة الفراء، وفي عام ١٥٩٥ بعد انشاء بوريس غودنوف (Boris Godunov) مصنعا للبنادق في تولا اصبح طمع الروس في الاتجاه نحو الشرق اكثر منها لشعوب سيبيريا وآسيا الداخلية التي كانت اسلحتهم القوس والسهم. وفي عام ١٦٠٠ أو بعده بقليل اسس البريطانيون

والألمان و الفرنسيون وغيرهم شركات الهند لشرقية وتوفي أكبر عام ١٦٠٥ و كان المؤسس الحقيقي لامبراطورية المغول في الهند و هو معاصر للملكة اليزابيث و نورهاجيه (Nurhaci) مؤسس مانشور الحاكمة الذي أصبح امبراطوراً في عام ١٦١٦، مع ان هذه الامبراطورية لم يثبت في الصين الا في عام ١٦٤٤ أي بعد وفاته عام ١٦٢٧. ووصل الروس الى لينا عام ١٦٢٠، وفي الوقت نفسه الذي كان المانشور يقيمون حكومتهم في الصين كان الروس قد وصلوا الى نهر أمور والمحيط الهادي. وهكذا بدأ التاريخ الحديث.

بعد ان هزم البريطانيون الاسبان في موقعه ار مادا عام ١٥٨٨. وقدم اليرماك سيبيريا هدية الى ايفان الرابع (IVAn-IV) اوجد البريطانيون والروس اكبر امبراطوريتين في العالم وفي نهاية القرن التاسع عشر عندما بلغ الاثنان اقصى توسعاتهم تقابلت حدودهما وهما يتسلقان بامير سقف العالم، ويسكون بالخناجر في افواههم وينظرون الى بعضهم بشك و حذر من خلال ممرات هندوكوش.

أكدت الظروف الجغرافية على التباين الجوهرى بين امبراطورتي بريطانيا وروسيا. حيث الامبراطورية البريطانية كانت ذلت فعالية اكثر اقتصادا. فالمستعمرات البريطانية الواسعة تفصلها طبيعيا محيطات العالم عن بريطانيا الام نفسها، وفي مستعمراتها مثل كندا واستراليا ونيوزيلندا وجدت مستوطنات بريطانية فعلا تشرف عليها مؤسسات بريطانية وفي حكم مستعمراتها المكتظة بالسكان مثل الهند جلبت اليها بريطانيا قوات حربية واعداد من الاداريين ورجال الشرطة الى جانب شخصيات اقتصادية وادارية. وفي المقابل اخذت بريطانيا منها السلع و المواد الخام ثم بعد ذلك صهرت بريطاني الى الهند رؤوس الاموال واجهزة التصنيع للانتاج والنقل وحصلت منها ليس على كميات متزايدة من المواد الخام فحسب، بل على سلع مجهزة و مواد شبه مصنعة و بعض هذه المنتجات التي ذهبت مباشرة الى التجارة العالمية بدون المرور على بريطانيا كانت على درجة عالية تنافس المنتجات التي صنعت في بريطانيا ذاتها.

وقد نجحت هذه العملية كلها بالاعتماد على الاستغلال الجيد للمواصلات المائية الرخيصة حتى ان القوة البحرية البريطانية انحصرت بصفة رئيسية في اسطولها الذي كان ذو قدرة فائقة في التمرکز في اي منطقة على اي ساحل في العالم واستطاعت ان تقطع خطوط التمرکز لأي منافس آخر. مع ان عدد الرجال الذين سحبتهم من مراكز الانتاج وجندتهم في البحرية الملكية وجيش البعثات الحربية الصغيرة كان اقل بكثير من عدد الجنود الفعليين الذين قدرت الجهات المحايدة وجودهم في الجيوش الروسية او الألمانية الضاربة جينداك. وعندما يتباين التطور الاقتصادي في اجزاء مختلفة من العالم كثيرا. يصبح رخص المواصلات المائية عاملا حيويًا في نقل الخبرة والاهزة الى المناطق المختلفة، وكذلك في جلب المواد الخام الى المراكز الصناعية المتطورة. فالامكانية الصناعية وامتلاك السفن ساعد بريطانيا في السيطرة على صناعة النسيج الحديثة في الهند لوقت طويل. فالهند تزرع القطن وبريطانيا تصنعه وتبيع نسيجه الى الهند. بالاضافة الى انها تربح من نقله في كلا الاتجاهين واما مساهمة هذا العمل في تطوير الصناعة في المناطق التي تنتج المواد الخام فقد اتجهت عملية التبادل من التحول الى الكماليات بعد ان كان للضروريات و ظهر هذا التغيير سياسيا في تزايد اهمية العلاقات الدولية التي بزغت من تحول عملية فرض المعاهدات الى عقد اتفاقيات متبادلة بالتفاوض على اساس المساواة. وهكذا استقلت صناعة النسيج الهندية بعد طول معاناة. ولكن بريطانيا التي لاتزال تشتري القطن والمواد الخام الاخرى من الهند لاتزال تساهم في علاقاتها التجارية مع الهند.

وعلى نقيض الامبراطورية البريطانية التي انتشرت مستعمراتها في كل انحاء العالم وفصلت بينها محيطات وبحار. فان مستعمرات روسيا القيصرية تجمعت على يابس متصل شاسع. ومع ان احد المؤرخين البارزين وصف وصولهم التوسع الروسي بأنه الاندفاع نحو البحر. ومع ذلك لم يعمل الروس في بناء امبراطورية بحرية بعد و وصولهم الى المحيط الهادي. وقد حصلت روسيا على الاسكا ولكن باعثة طواعية. واختصرت ممتلكاتها في كتلة اليابسة الشاسعة التي

تمتد بين أوروبا وآسيا ووجدت روسيا امة ثم جعلت من تلك الامة سادة للامبراطورية واخاء وقررت التداخل مع الشعوب البدوية في حدود السهول اصبحت الحروب الطبقيّة والسياسية بينها حروبا وطنية لكل من الروس والاروس. وعندما كان خانات البدو هم السادة كان نبلاء الروس اتباعا لهم وحكاما على شعوبهم وبالعكس لما غزى الروس السهول، دخل امراء السهول في خدمة الروس مع احتفاظهم ببعض امتيازاتهم.

وهكذا فان تماثل مصالح الطبقات الحاكمة بين الروس والاروس كان عاملا هاما في بناء الامبراطورية فقد كان معظم نبلاء الاروس اعداء للروس لاقيى درجة، ذلك لان امتيازاتهم انتقلت الى الامراء الروس. ولكن عندما ضمنت لهم الحولة الروسية تلك الامتيازات في استمرار سيادتهم الاسمية لم يعد هؤلاء الامراء المحليين زعماء ثورة وطنية ضد الروس وبالتالي فعندما اندلعت الثورة ظهر الجناح اليساري في افراد الشعوب الاروسية الذي يؤيد الثورة الروسية ضد طبقة النبلاء الذين هم منهم، تماما كما كانت الثورة ذاتها ضد الحكومة الروسية وهذا التداخل اوجد مصلحة مشتركة وعلاقة وثيقة بين اليساريين والبلاشفة ليس بهدف القضاء على دولة القياصرة فحسب بل في تدمير المجتمع الذي ساعد الدولة وقد تم فعلا عمله المشترك، ثم طبعت هذه المصالح المشتركة الاطار الدستوري للسياسة القومية الشيوعية التي صاغه ستالين نفسه، هذه السياسة التي هي وطنية في الشكل واشتراكية في المضمون اتاحت اقامة دولة اتحادية بنية على ائتلاف دائم بين الشيوعيين الروس والاروس. وقد وحدث هذه السياسة بين دعاة الانفصال الوطنيين الذين يرون المحافظة على صفاتهم القومية والثقافية الداتية بعد ان تحققت آمالهم في جمهوريات ومناطق حكم ذاتي دستوريا، ثم كونت تلك الوحدات الجغرافية السياسية معا دولة اتحادية بموجب قوانين سياسية واقتصادية.^(١)

والامبراطورية القيصرية الروسية التي تجمعت على اتساعها في يابس واحد اختلف ايضا اقتصاديا عن الامبراطورية البريطانية المتناثرة. لان قرة روسيا في الاغتناء من الاراضي التي استولت عليها وضمتها اقل كفاءة من بريطانيا، ذلك بسبب الاختلاف بين غلاء المواصلات البحرية ورخص المواصلات البحرية. حتى عندما اصبح جزءا من ذلك الطريق البري يتم عبر نظام المواصلات النهرية غرب أورال في الاراضي الروسية كانت المواصلات مكلفة اكثر والمنسوجات القطنية ذات الاهتمام الكبير في روسيا، اوضح مثال على ذلك. فقد ازداد المشتغلون في هذه الصناعة وزراعة القطن في آسيا الوسطى الروسية واحتكار صناعتها في البلاد الروسية نفسها بيد ان زراعة القطن حول تاشكند وسمرقند ثم نقله بالقطار الى موسكو وغيرها من مراكز صناعة النسيج. وبعد ذلك تصدير القماش القطنية للمستهلكين في الامبراطورية عبر الاراضي الشاسعة جعل الربح اقل والتراكم الرأسمالي ادنا مما كان ينتج من نظام الشحن البريطاني الذي تم بالبحر بين امريكا ومصر والهند ومانشستر. والثورة الاقتصادية التي نظمها الشيوعيون وكانت متطرفة مثل ثورتهم السياسية تغلبت على هذا الاختلاف. حيث اتجه التصنيع المباشر للمواد الخام في آسيا الداخلية واماكن مصادره الاصلية. وفي آسيا الداخلية وشرق سيبيريا اوجد التصنيع السوفياتي حاليا اعظم محطات الطاقة والانتاج العلمي المتنوع والقوى البشرية المربة مما قد يوجد في أي بقعة في آسيا. وتقع مراكز التصنيع السوفياتية بالقرب من الهند والصين وايران وهي اقرب من أي دولة غربية باستثناء اليابان التي قرب الساح الصيني. وقد تمكن الروس الوصول الى هذا النجاح الصناعي بتطوير مستوى التعليم العام وتزايد خريجي المؤسسات التعليمية المتقدمة مما عليه في أي بلد آخر في آسيا بما في ذلك اليابان.

١- Robert J. Kerner, The Urge to the Sea, Berkeley 1942.

Owen Lattimore, Inner Asian Frontiers, in the Journal of Economic History, Vol. 7, pp. 24-52, May, 1947, and

The Situation in Asia, Boston, 1949, p. 16.

في هذا العصر تتقدم امريكا الى المسرح لسياسي الذي شعر بخروج البريطانيين. فبعد تركيز القوة الامريكية في الفلبين عام ١٨٩٨، واطلاق سياسة الباب المفتوح و الحرب الروسية اليابانية ١٩٠٤ - ١٩٠٥ أصبح هدف السياسة الامريكية الخارجية هو تطويق النفوذ الروسي في المحيط الهادي والصين. وبالإضافة الى ان احد مبادئنا السياسية هو شغل الفراغ الناتج عن الضعف البريطاني الذي قد يثير اطماع روسيا. وحيثما وجد الانسحاب البريطاني كان تقدمنا وهذا ما حصل في آسيا الداخلية. فقد اقمنا قنصلية عامة في تركستان الشرقية خلال الحرب لأول مرة في التاريخ. ونشطت سياستنا في افغانستان بالإضافة الى سياسة تعبيد الطرق ثم انشأنا علاقات دبلوماسية مع نيبال واستقبلنا بعثة تجارية تبتية في واشنطن. واعترضنا على انضمام جمهورية منغوليا الشعبية الى الامم المتحدة لأنها صنيفة روسية وهذه المراجعة التاريخية السريعة تساعد على معرفة المشاكل التي احاطت بتركستان الشرقية وتكونت من تداخل الماضي بالحاضر وفي الماضي انسابت الى آسيا الداخلية مؤثرات من الصين والهند وايران وذلك قبل عهود طويلة مما جاء اليها في عهد الصقالية والآنجلو ساكسون والامريكان في تلك العهود الغابرة عاشت فيها شعوب تسكت بحياة الاستقرار في الواحات وشعوب عاشت حياة الترحال في السهول واليوم أصبحت آسيا الداخلية مرة اخرى. بؤرة تتجه اليها التيارات الخارجية التي تهب من روسيا والصين والهند ومن الشرق الاوسط المسلم ايضا. ويصل اليها النفوذ الامريكي والغربي عبر الصين والهند على اي حال فان آسيا الداخلية اليوم كما هي في الماضي لها مكانتها الثابتة. وشعبها ليست قطع جامدة لوحة شطرنج للقوى السياسية، بل هي قادرة على الاختيار السياسي. وكما كانت في عهد عائلة هان الصينية وبدو هيسوينغ نو (Hsiung-nu) قبل الف عام لها اهمية خاصة اليوم من نوع غريب ذلك لان هذه الشعوب بالرغم من انها لاتستطيع بخدعة سياسية تعزيز قوتها لمصلحة ذاتها. ولكنها تستطيع ان تزيد قوة الطرف الذي تنحاز اليه وتقلل من قوة الطرف لآخر الذي تعاديه اكثر مما هو محتمل رياضيا. ويليه الفصل الثاني :-

الصراع الانجلو الروسي في تركستان الشرقية ١٨٠٠ - ١٩١٧

دور المسلمين التونقان من الاصل الصيني (خوي) بتركستان الشرقية في العهد الجمهوري

دكتور رشيد نوربس - ترجمة محمد الله وردي

ابان النظام الجمهوري في الصين خلال الفترة من (١٩١١ - ١٩٤٩) في تركستان الشرقية ذلك الاقليم الواقع في اقصى الغرب لصيني والذي تطلق عليه الصين اسم (سينكيانغ) وتعني الارض الجديدة وتكتب بالصينية شنجانغ.. اذ انها مستعمرة صينة ولا تزال تحتلها الصين وبالتالي فانها في قلب آسيا الوسطى. ويسكن هذا الاقليم مجموعات مسلمة هم بمثابة (الويغور والقازاق، والقرغيز، وتاجيك، اوزبك، التتار، والخوي) هذا بالإضافة الى مجموعات اخرى اقل عددا من المجموعات الغير مسلمة هم: المنغول، سيبو، سولون، مانشو، والروس. وبنهاية فترة النظام الجمهوري كانت هذه الاقليات المختلفة تمثل نسبة ٩٠% تقريبا من مجموع السكان في الاقليم. بينما يمثل الصينيون (الهان) بما في ذلك المنفيين السياسيين وطلالتهم والمستوطنين من القرويين الفقراء والموظفين الحكوميين نسبة ال ٥% الباقية. وطبقا للاحصائية التي قام بها البوليس الاقليمي لاقليم تركستان الشرقية في عام ١٩٤٠ - ١٩٤١ م. والتي اعتبرها اوين لاتيمور بانها تمثل افضل الاحصائيات الموجودة للاقليم ابان النظام الجمهوري السابق. فان تعداد السكان في الاقليم طبقا لتقديرات اللغويين هو:

الجماعات المسلمة		الجماعات الغير مسلمة	
١- اويغور	٢,٩٤١,٠٠٠	٨- منغول	٦٣,٠٠٠
٢- قازاق	٣١٩,٠٠٠	٩- سيبو	٩,٠٠٠
٣- قرغيز	٦٥,٠٠٠	١٠- سولون	٢,٤٩٠
٤- تاجيك	٩,٠٠٠	١١- مانشو	٦,٧٠٠
٥- اوزبك	٨,٠٠٠	١٢- الروس	١٣,٠٠٠
٦- تاتار	٥,٠٠٠	١٣- الصين الهان	٢٠٢,٠٠٠
٧- خوي	٩٢,٠٠٠		

وفي الوقت الذي كانت فيه جماعتين من الاقليات الغير مسلمة (المنغول والروس) من ذوات النفوذ الاجتماعي والاقتصادي تؤثران على البيئة السياسية في الاقليم. فان الاقليات الاسلامية كان لها دورهم ايضا وذلك لكونها تشكل ٩٢% (٣ر٤٣٩٠٠٠ نسمة من مجموع سبع جماعات اسلامية) من مجموع تعداد سكان الاقليم البالغ ٣ر٧٣٠٠٠٠ نسمة فان الهدف من هذه الدراسة هو دراسة هذه الجماعات الاسلامية في تركستان الشرقية وبصورة خاصة اتحادهم واختلافاتهم الاشارة الى دور الجماعة رقم (٧) المذكورة في الجدول السابق «الخوي» المسلمين والدين هم من اصل صيني ويتحدثون باللغة الصينية. والدين يلقبون من قبل الجماعات الاخرى ذات الاصل التركي التي تسكن نفس المنطقة) باسم (التونقان) كما ان لقب تونقان يستخدم بلانجليزية على المسلمين من اصل صيني في تركستان الشرقية للتمييز بينهم وبين المسلمين من اصل صيني والدين يعيشون في مناطق اخرى من الصين و في غير تركستان الشرقية.. وفي الحقيقة فان دور ومكانة المسلمين من اصل صيني (خوي) الذين يتحدثون باللغة الصينية لم تلق الا القليل من الاهتمام وذلك نتيجة للتصورات الموضوعة والمطبقة في الصين بصورة عامة. هذا عدا ان البحاثة السابقين في الرحلات التبشيرية (مثل بروم هول) قد اشاروا في كتاباتهم الى شدة التناقض المورث بين لصينيين الوثنيين (الهان) والمسلمين من اصل صيني ويعرفون ب- (خوي).

وقد استمر التركيز على التناقضات حتى في اعمال رائييل المخضرم والمناصر للعلاقات الصينية - الاسلامية عندما كتب عن ا لتناقض بين الاسلام والنظام الصيني. هذا عدا انه من الواضح انه نتيجة لتعداد المسلمين من اصل صيني (خوي)، والذي يحتمل ان يكون قد وصل الآن (١٩٨٧) الي اكثر من عشرة ملايين نسمة منتشرين داخل الصين من يونان في الجنوب الغربي الي هيلونج كيانج في الشمال الشرقي ومن تركستان الشرقية الاغلبية المسلمة الناطقة باللغة التركية في تركستان الشرقية ويونان الواقعة على الحدود الجنوبية الشرقية، بالنسبة للنواحي السياسية في تركستان الشرقية فان ازدواجية الولاء هذه (للاسلام كعقيدة وللصين بحكم الإقامة في مجتمع صيني بأكمله) انما يعني ان

في الشمال الغربي الي جزيرة هيانان في الجنوب الشرقي، فان هناك اختلافا في مواقفهم السياسية والثقافية وذلك نظرا للمساحة الشاسعة التي ينتشرون فيها.. ولذا فان مايعتبر في بكين مناقضا قد يكون له موقف آخر مغاير تماما في كاشغر. وهذا مااستوضحه هذه الدراسة بالتفصيل. قد يكون من الافضل التركيز بصورة اكثر على تلك التناقضات عند اعداد الدراسات الميدانية عن اقليم تركستان الشرقية فعلى الرغم من عدم وجود وثائق مستفيضة مكتوبة عن الاسلام في تركستان الشرقية الا ان هناك دراسات جادة عن تركستان الشرقية ابان النظام الجمهوري - ونشير هنا الي دراسات كل من لاتيمور ونيمان ووايتنج) فبالاضافة الي تركيز هذه الدراسات على سياسة الصين في الاقليم فانه قد سبقت الاشارة الي السياسات الاسلامية الداخلية والاقليمية في نفس الاقليم.. وبحراسة تلك المعلومات المتفرقة (خاصة فيما يتعلق بعلاقات المسلمين الداخلية في نفس الاقليم) فستكون النتيجة تحليلا يسرد الحقائق المتكررة وليس تحليلا منطقيا لهذا فان لاتيمور (الكاتب ذو الاسلوب التقدمي) اراد التأكيد على الاختلافات اللغوية والثقافية والدينية بين مسلمي تركستان الشرقية.. فحرب مثلا في التناقض بين الاستقرار والتنقل والمتمثل في الاويغور والقرغز وذلك لغياب الداعين الي الانتماء القومي للاصل التركي.

وتجدر الاشارة هنا الي ان بعض المؤيدين للانتماء القومي للاصل التركي قد اشاروا في دراستهم عن تركستان الشرقية الي موقف معارض تماما لما ذكره لاتيمور حيث تفوا عن الاختلافات الثقافية و الدينية القائمة وشدوا على الوحدة الثقافية للشعب الطوراني في الاقليم. وقد ناقش معد هذه الدراسة في ابحاث اخرى بان عمل دراسة تحليلية بت لك الطريقة انما تؤدي الي استنتاج خاطيء وانه حتى يتمكن المرء من تفهم السياسات الاسلامية في تركستان الشرقية فعليه ان يدرس الاختلافات الاقليمية وليست الدينية. وبنفس الطريقة فان وايتنج قد لاحظ ان التونقان في اقليم تركستان الشرقية نادرا مايثقون في زملائهم من المسلمين من الاصل التركي او التاجكي وانه عادة ماتتطلب الاحقاد العرقية على الهوية الذي نية. الا ان وايتنج لم يشر بصورة واضحة الي دور التونقان كمؤيدين فعالين للحكومة الصينية في تركستان الشرقية. كما انه بالغ بصورة عامة في تفهم توحيد قوة المؤمنين بالاسلام وكثيرا ما فانه يخطيء في ذلك.

ان الهدف الاساسي من اعداد هذه الدراسة هو دراسة دور التونقان في تركستان الشرقية في الفترة ما بين الطاحه بامبراطورية شنج في ١٩١١ ونشأة جمهورية الصين في عام ١٩٤٩. ومن المستحسن في الدراسة ان نوجز ونوضح مكانة التونقان في تركستان الشرقية في النصف الاخير من القرن التاسع عشر خلال ثورة المسلمين الشماليين الغربيين في الفترة من ١٨٦٢ - ١٨٧٨ م. وكذلك خلال السنوات الاخيرة من سقوط اسرة شنج في الصين. طبقا للحياة السائدة والمتبعة في مستوطنات المسلمين من اصل صيني (خوي) في يونان وفي الشمال الغربي من الصين فان مسلمي تركستان الشرقية من الاصل الصيني قد عملوا / ارتبطوا ولسنوات طويلة بتجارة القوافل والمهن الاخرى المرتبطة بها مثل امتلاك الخانات وجزارين.

واما بالنسبة للنواحي العسكرية فعلى الرغم من كونهم محل احتقار الصينيين (الهان) وذلك بالنسبة الي نظرة المجتمع الصيني التقليدية لهم، الا ان المسلمين من اصل صيني (خوي) يعرفون بانهم حماة الحدود. وفي الحقيقة فعلى الرغم من كون المسلمين من اصل صيني (خوي) ممن يدينون بالدين الاسلام ويعتزون بانتماهم للاسلام ولأمة الاسلام في العالم كما انهم يحركون مدى ارتباطهم الروحي بالاراضي المقدسة في الحجاز.. الا انه لايمكن

تجاهل انهم يستخدمون اللغة الصينية ايضا ويفتخرون بكونهم مسلمون صينيون الا انهم يدركون ايضا ارتباطهم الثقافي بالحضارة الصينية. لذا فهم يعلمون دعاة للاسلام وينشرون الثقافة الصينية في نفس الوقت وقد استمر هذا الوضع على ما هو عليه من مدة طويلة بين المسلمين من الاصل التركي والمسلمين من الاصل الصيني لم تكن لهم مشاركة سياسية فعالة أو اية اهداف ثقافية تذكر. وفي تركستان الشرقية فعلى الرغم من رابطة العقيدة الواحدة بين المسلمين من الاصل التركي والتونقان الا ان الشعور بالعداء تجاه بعضهم البعض احيانا يطفئ على رابطة العقيدة وببساطة اكثر فان المسلمين من الاصل الصيني (التونقان) والمسلمون من الاصل التركي على الرغم من عقيدتهم الحنيفية الواحدة، ويؤدون الصلاة جماعة في مسجد واحد الا انهم يختلفون من الغالبية العظمى من الاويغور الاتراك سكان تركستان الشرقية (بالتحديد القرغيز والقازان والجماعات الناطقة بالتركية) حيث ان لهؤلاء طموحات ازلية لما سيادة مستقلة أو الاستقلال من الصين وان يكونوا تحت ادارة مسلمين من نفس أصلهم التركي. الا ان المسلمين من الاصل صيني (خوي) لا يشاركونهم نفس الطموحات، وان كانوا يرغبون في مجتمع اكثر حيوية حيال ممارسة الشعائر الدينية الا انهم يفضلون العيش تحت ادارة جماعية صينية غير مسلمة (هان) افضل من الوقوع تحت ادارة المسلمين الناطقين بالتركية. وتتمثل ابان حكم تشنج افضل صور الاختلاف في الاهداف السياسية بين المسلمين الناطقين بالتركية والمسلمين الناطقين بالصينية ففي وقت السلم كان المسلمون من الاصل الصيني (خوي) يشكلون حامية عسكرية موالية لادارة المانشو (السلالة الحاكمة) كما انهم كانوا يلعبون دورا مهما في اوقات الحرب ايضا خاصة خلال فترة الثورة الاسلامية في الجزء الشمالي الغربي من الصين في عام (١٨٦٢ - ١٨٧٨) في الوقت الذي كان المسلمون من الاصل التركي والتونقان قد تمكنوا كل على حده من الان فصال عن حكم تشنج الا انهم انشغلوا في صراعات ضارية فيما بينهم اضعفت من قوتهم فلم يتمكنوا من هذه القوات الصينية المتقدمة الامر الذي له اكبر الاثر في اعادة النفوذ والقوة الى اسرة تشنج الحاكمة، ومن الجدير بالذكر ان «تسو» الذي تقلد زمام السلطة بعد «تشنج» قد تعامل مع المسلمين الناطقين بالتركية والناطقين بالصينية كل على حده حيث سحق خصومة مثل (يعقوب بك) التركستاني الذي كان قد اسس دولة مستقلة في تركستان الشرقية كما اجبر خصمه الثاني (باي ين خو) المسلم عن اصل صيني على الهرب الى روسيا في آسيا الوسطى. كما انه عامل الثوار من الناطقين بالتركية على انهم مهاجرين مقمين غرر بهم في التمرد ضد حكم (تشنج) وقد يعني عنهم مستقبلا لو انهم استمروا في العيش بسلام. ما الثوار من لمسلمين الناطقين بالصينية فقد عوملوا كخونة ضد الحكومة الصينية الا انهم نالوا قبرا من التسامح فيم بعد. وعلى الرغم من تلك التفرقة الا ان المسلمين من اصل صيني (خوي) كانوا يعملون خلال عقدين من الزمان (عند استيلاء «تسو» على السلطة في الاقليم الشمالي الغربي مرة اخرى) كممثلين للسلطات الصينية (الهان) في تركستان الشرقية. ويعود السبب في ذلك الى ان ثورة المسلمين في كانسو وشنسي و يوننان لم يشترك فيها جميع المسلمين من الاصل الصيني (خوي) لذا لم يعتبروا خونة لحكم تشنج. ويشير تاريخ تلك الثورة بصورة واضحة الى وجود خلافاات جدية داخل وجماعات والمسلمين من الاصل الصيني (خوي) والتي سارع تشنج الى الاستفادة من تلك الخلافاات بصورة سريعة وفعالة.

(قدمت هذه الحراسة للنحو الاوربية الثانية عن ثقافة آسيا الوسطى - المنعقدة في جامعة لندن في الفترة ٧ - ١٠ ابريل ١٩٨٧ م)

فيما رأيت وسمعت

بقلم: قاسم اوغلي ابو محمد

بالامس القريب ذهبت الى موطني التركستان الشرقية عن طريق دولة باكستان عبر الطريق البري من ها وذلك لزيارة اقربائي هناك. ودامت سياحتي هذه لمدة شهرين وكانت مدينة اورومجي اكثر البلدان اقامة لي ورأيت فيها ماسعته سابقا وكنت اتمنى ان اشرحه لبني و طني الدين يعيشون في ال عالم الحر. وان فاجعة الثورة الثقافية التي انتهت قبل عشر سنوات والتي دامت في حين ها اثنتا عشرة عاما. والتي كانت شؤما للصينيين كلها بوجه عام وللتركستانيين بصفة خاصة وازحت معلومة فلا داعية لذكرها ثانية.

وانا لم اكن كاتباً وقد امضيت اكثر اعوام صباي وشبابي في تلك الاصقاع وعند زيارتي هذه التقيت باصدقاء صباي وزملاء فراستي هناك في الايام الخالية. وان بعضهم اصبح طبيباً واديباً ومترجماً علمياً الان وقد اكتسبت منهم معلومات هامة ومفيدة. وقد عرضت عليهم رؤيائي واخذت موافقتهم عليها واني ارى ان المرثيات شيء والكتابة عنها شيء آخر. فلدا ارجو من القاريء الكريم ان يصحح خطئي ويقرأها بحسن التدبر والتأمل.

ملخصات سفري

وكتابتي هذه تتعلق بثلاثة محاور اساسية هي الاقتصاد والاجتماع والسياسة في رحلتي التي بدأت من باكستان الى تركستان الشرقية شاهدت الطريق البري الذي انشئ في العهد الحاضر. ولكنه لم يكن وليد اليوم وانما كان الطريق احد الروافد الاساسية لطريق الحرير مند الوف السنين الفائرة حيث ان اجدادنا سلكته وشقته بانواعهم ولو انه اصبح من معالم القرن العشرين يعود بالفائدة العظمى للانسانية جمعاء. وذلك ان الطرق الحديثة تقرب المسافات وتطوي الفيافي والقنار في ساعات محدودة. وبالمثال كان هذا الطريق مند امد قريب نسلكه ونطويه مابين ثلاثين الى خمسة وثلاثين يوما بمخاطره والامه. والان نطويه بأقل من يومين فقط.

فوصلنا مشارف بلادنا العزيزة فونجراف. وضاش قورغاند - ثم مدينة كاشغر بكل سهولة ويسر ونحن نحس امانا غابات ونراها بالفعل حيث ان اطراف مدينة كاشغر جميلة للغاية. فقدمنا مدينة كاشغر وشاهدنا فيها ابنية حديثة، عصرية بجانب ابنيتها القديمة. وازقتها الضيقة لم تزل في حالتها السابقة مند خمسين عاما. وامثل مدينة كاشغر في بعض ابنيتها الحديثة بجانب ابنيتها القديمة المتهمة وهي الاكثر والاهم كأن ثوبا بالية مستهلكة رقت بدياج او بقطعة من مخمل. وبعد تلك الحقبة من الزمن، من العبودية والدل. اعطيت بعض الحريات وارى ويرى غيري نتائجها ايجابية ولكن امتنا المغلوبة على امرها مسبقا لا تأمن جانبهم على الاطلاق.

وحضرت في مجالس المتنورين والمثقفين من شعبنا ومواطننا، وجلست معهم في سهراتهم وسمراتهم ومجالسهم ومحبتهم وهم يتكلمون في كل الحياة العامة. شأنهم في ذلك شأن غيرنا من الشعوب يضحكون ويمرحون ويختتمون هذه المجالس بقولهم نحن تعودنا ان نضحك وقت البكاء. فبات معلوما للجميع صدق قولهم. ركبنا سيارة اجرة خاصة بنا متجهين من مدينة كاشغر الى مدينة اقسوتزيرد عن اربعمائة كيلومتر. في الشمال الشرقي (واول رحلة لهذه مدينة مر البشي «تبعد عن مدينة كاشغر بمائة وخمسين كيلومتر». وبعد رحيلنا منها، رأينا من الجهة اليمنى وعلى بعد خمسة او اربع كيلومترات على الطريق. سندسا خض روعلى مدى الافق وكانها بحر لحي وعلى هذا طويلا الطريق ولمسافة ثلاثين او اربعين كيلومترا. متجهين الى اقسو. غاب عنا ذلك البساط المخضر كأنه قبس من جنة الله. وكنا باديين من وجوهنا السلبية جبال تلك الخيرات (لمن هذه؟) وكان السائق من مواطنينا تركستاني تأمل في وجوهنا جيدا ثم قال اخي الحاج نحن الان في الجهة الغربية من وادي

تارم (تارم نهر عظيم وشریان الحياة في التركستان الشرقية) وفي الوقت ذاته نحن على مقربة من منخفضين تكلمكان بل على جزء صغير منها. وان تلك الصحراء القاحلة أصبحت الآن ندغناء. وان هذه الحقول الزراعية المترامية الأطراف لا يمكن لبشر كائنا ما كان أن يزرعها بهذه الكثافة وبهذا العمق. وان الصينيين استوطنوا فيها وزرعوها بالآلات حديثة بالماكنة والتروكترات. والآلات الزراعية المتقدمة. ووادي تكلمكان هذا لا نهاية له. والنهر تارم العظيم يفقد مياؤه دون منطقة لوب في الشمال الشرقي منها. وهناك من الحيوانات النادرة. وقد بدأت تنقرض بفعل الجفاف حيال حرمانهم من مياه النهر. وقد انحر علماء البيئة اليابانيون حكومة الصين. بان تسرع بالتدابير اللازمة لاجل ابقاء حياة تلك الثروة الحيوانية الثمينة.

ومنطقة تكلمكان هذه منطقة محظورة لغير الصينيين. فلا يوجد فيها تركستاني واحد. فوصلنا الى بلدة كورلا. وكنت اعرفه ابلدة صغيرة أصبحت الآن مدينة عامرة تابعة لمنقول كوره في الشمال الشرقي منها وكورلا التي كانت بلدة صغيرة في ضفاف حوض باغراض. أصبحت مركزا صناعيا تجمع فيها خيرات تركستان العزيزة كلها وتشحنها باقطار متجهة الى داخل الصين (انظر الخريطة) ثم مررنا بمدينة قاراشهر. حاضرة الاقليم واتجهنا شمالا فهناك سلسلة جبال خان تنكري «تيانشان» ووديان عديدة بالقرب من بلدة اغيربولاقه رأيت في احدى الوديان صينيين بتركوراتهم وكاميوناتهم متمركزين وعاملين متواصلين في العمل في المصانع و علمت من السائق ان هذه السلسلة من الجبال تحوي على ورقة الحجر التي لن تسخن كمادة شفافة (غالية الثمن في الوقت الحاضر، عصر التكنولوجيا المتقدمة) وان هذه المعادن النفيسة تعتبر دررا في هذا الوادي وترحل الى داخل الصين ايضا في صناديق واكياس وكراتين. ثم مررنا بمدينة توخسون وقد رايتها قبل ثمانية وثلاثين عاما. وقد أصبحت اليوم غيرها بالامس مدينة زاهية ذات ثوب قشيب ثم صعدنا الى مدينة دوانجين وقبل مدينة اور ومجي بخمسين او ستين كيلومترا هناك ارض منبسطة منخفضة وفيها حوض كبير مالح شديد الملوحة «مثله مثل البحر الميت في فلسطين المحتلة» وفي الشمال منها سفوح جبال خان تنكري «تيانشان» - وعليها اقيمت مصانع كبيرة. ثم علمت ان هذه المصانع لتعليب الملح المستخرج من ذلك الحوض الكبير ذات مساحة كبيرة. وان بهذا الملح مادة ذات قيمة تشحن كلها الى اليابان.

وصلنا الى اور ومجي. مدينة كبيرة واسعة جدا وجميلة. المواصلات العامة متوفرة بشكل اتوبيسات ولما الطلبات الخاصة مثل التاكسي. غير متوفرة. وبواسطة بعض من معارفنا الموظفين امنا طلباتنا الخاصة ببعض السيارات الصغيرة. فهناك خمسة متاحف كبيرة زرت كلها وقد امضيت في بعضها الساعات الطوال بل الايام. وبالمثال زرت متحفا شعبيا كبيرا ضمن تلك المتاحف الخمسة، غاية في الجمال والتنسيق وعمق التعبير المجسم تشير الى المنازل الاصلية لكل قبيلة وتركيبها ومستوى التعليم والثقافة فيها. وطرق المؤدية اليها ومنها. وحقول الزراعة وكثافتها ومصادر الاقتصاد الطبيعي والصناعي. ومناجم البترول. ومن حيث الفن الجمالي في المتحف قلما توجد مثله في العالم عام في الظرافة والنفاسة تجلب وتجذب السائح بشكل لا ارادي. واما التحقيقات والاكتشافات الاخلوكية والمآثر التاريخية ومن ضمنها المراجع. ومعالم الحضارات القديمة والحديثة، كلها تجسمت في هذه المتاحف واني ادقق النظر في كل قطعة منها و كذلك ترى الارقام التي تشير الى كمية المستخرج والمخزون من المعادن مثل البترول والفضة والذهب واورانيوم وبلقروم وغيرها من ثروات تركستان الدفينة والمستخرجة ولم اتمكن من حفظ تلك الارقام او قيدها في خاطرتي مع الايف. ولكنها غير خافية على المتخصصين العالميين وهذه الثروة - الهائلة تشحن كلها اولا بأول الى داخل الصين وبدون عد وقيمة واذا احتاجت تركستان الشرقية الى او قيمة من الذهب او لترا واحدا من البترول تشتريها من حكومة الصين المركزية نقدا او بالقيدين عليها.

واما احتياجات تركستان الشرقية من تعليم وتعمير وشق طرق. ورفع مستوى الكفاءة الزراعية او مكنتها وتحديث طرق الصناعة. اذا تأمنت بعضها او كلها حسب الحاجة تكون على

حساب تركستان الشرقية. مدينا للصين او تمنن عليها حكومة الصين. وتقول انتم مدينون لنا بكدا او كدا وان الاستاذ فولار عالمي وزير مالية تركستان الشرقية في الخمسينات وجه اليه تساؤل من قبل حكومة الصين؟ بكم من المليارات من اليون ديونكم لنا؟ فأجاب فولار عالمي؟ قولوا لي اولاً بكم من المليارات ييون تكون قيمة كيلوين من اليورانيوم الذي تأخذونه من ارضنا؟ عندها اتهموه بالجنون وجردوه من مهام منصبه - كوزير للمالية والاقتصاد في التركستان الشرقية وامثال ذلك كثيرون تؤدي الواحدة منها الى الجنون اذا فكرنا فيها.

ان التر كستانيين محرومين من حقوق المواطنة كمواطنين فلا يمكن للفرد منهم ان يختار المكان الذي يعيش فيه. ويؤمن مستقبله كمواطن.

واما للصينيين الذين يتدفقون الى البلاد تنقلهم القطارات والمقطورات التي جلبت الى داخل الصين خيرات تركستان وثروات اللانهائية. لهم الحق في الإقامة والعمل في اي منطقة من مناطق تركستان الشرقية ويأتون بالآلاف يومياً منذ ١٩٤٩ م وفي تركستان الشرقية الان اكثر من خمسة وعشرين مليون صيني نصفهم على الاقل مسلحون. او تحت ازمة السلاح رايتها بام عيني. واذا قلنا جدلاً ان التركستانيين منهم مؤهلون علمياً ولكن لم يمكنهم او بتشديد الكاف - ذلك فليس بينهم مؤهل عالمي اوفيلسوف واحد او في درجة بيرفيسور.

الحالة الصعبة متدنية جداً وفي القرن العشرين. عهد التكنولوجيا الحديثة والاقمار الصناعية والكمبيوتر. الطب الشعبي القديم الذي يعالج مرضاء بورقة الاشجار والنباتات البرية سائر جنباً الى جنب مع الطب الحديث. والطبيب العصري في بلادنا العزيزة يفرق مستواه العام عن مستوى الممرض او الممرضة بالدول المتقدمة بشيء بسيط والا يعرف شيئاً عن الكتابة الانكليزية واللاتينية.

الاكلات الشعبية في اسواقها. تحضر بالوقود البدائي الحطب والحلويات. مكشوفة ومفبرة يتناولونها باليدي. على اختلاف بيئاتهم اكاد اقول قرة.

المنحرفون المتصوفون وقد قام سوقهم وراجت بضاعتهم مغايراً للعقيدة الاسلامية ومتعاطي الحشيش والمخمرين منهمكون مبهورون في الازقة والزوايا السفلة تشعر مناظرهم بالحزن والكآبة بوخراب الديار.

ومدينة اورومجي العاصمة مدينة عصرية ذات شوارع فسيحة مزدانة بالاشجار تجلب السائح وتجذب اليها بوجه عام وبالمظاهر الخطابية. واما الحواري ووسط المدينة والقسم الشرقي منها متخلفة جداً ولم تمتد اليها يد الاصلاح منذ خمسين عاماً. يسكن فيها الاثراك التركستانيون والصينيون وارضية تلك المنازل او المناظر القفرة تنخفض من مستوى الشارع بمقدار متر وزيادة - اما المساكن الجماعية وتكون عادة داخل احوشة كبيرة. ويسمونها (قورو) ولها مراحيض مشتركة ومختلطة بين الرجال والنساء والمسلمين والصينيين لا يغطيها شيء لا من فوق كسقف ولا دائرة من جهة الارض وشبه مكشوفة من الجوانب. ليست بها ابواب فهي ت شكل مستنقعات قفرة من الوساخ. يستغرب الواحد منا كيف يعيش هؤلاء المساكين ولا سيما في فصول الصيف واما الاحياء الباقية من مدينة اورومجي وغيرها من المدن والقرى قيس على ذلك.

واما الحكم الداتي الذي ولد ميتاً وسياسياً التضليل:

رأيت في اورومجي ومدناً اخرى يافتات كتبت باللفتين الصينية والتركستانية بالاحرف العربية. الاخيرة في السطر الافقي وتحتها باللغة الصينية تضليلاً بان الصينيين يحترمون اهل البلاد وكذلك هناك اجتماعات مختلطة فيها الصينيون والتركستانيون وفيها شعارات براقية مثل تنفيذ قراراتنا بالاتحاد والتكاتف والتكتل. ومثل اتفاق الفرق المعنية. نحمي وحدتنا بالمساواة وما الى غير ذلك من الشعارات ولكن الواقع والملموس غير ذلك حيث ان ايسر الحقوق المشروعة للتركستانيين غير وارده في هذه السياسة المصلة والمأكرة.

سألت احد الكوادر التركستانيين عن مضمون الشعارات فأجاب اخي الحاج ان مساوات اهل البلاد من الصينيين اطاعتنا وخضوعنا لهم ليس الا.

ومن حيث ان الكتابة الاويفورية تراها في اليافتات فوق الكتابة الصينية لاتخلو من مكر ودهاء. وذلك ان بعض الشخصيات الهيكلية اقصد الغير مؤهلة تعين في بعض الوظائف الحكومية. ولهذه المسميات الموظفين بعض الحقوق شيئاً من الاقدمية لصالح المسلمين التركستانيين والشخصية الغير مؤهلة لا تعرف كنه هذه الحقوق ان وجدت فلم يكن التعيين الا للاستيلاء والاستغلال لتوقيع الشخصية هذه لجهلها بالامور. ومكطفة له تكتب اليافتات التي على باب تلك الدائرة. وغيرها من المرافق والشوارع باللغة التركستانية.

واما بعض الشخصيات التركستانية الذين يكونون عادة على رأس وفد من الوفود الرسمية للبلدان الاجنبية وسئلت عنه واجيب لي. ان هذه الشخصية لا يملك شيئاً من امور الانتخاب هذا وانما اختير اولاً

تضليل الرأي العام العالمي. ثانيا لاطلاص هذه الشخصية لحكومة الصين المركزية بحيث يكون دينة ودينة ان تركستان لشرقية في اعتباره جزء لايتجزأ من لصين لانه عميل للصين - اما من حيث مؤهلاته ومعرفته بالامور لا تهم الحكومة الصينية و كل الامور والقرارت سلبا او ايجابيا من اختصاص سكرتيه الصيني المرافق له.

صفحة الارقام الزائفة:

اخذت هذه الارقام من متحف مختلف القوميات في التركستان الشرقية سنكيانج :

اللاويغور	٦.١٧٠.٠٠٠	مانجو	٩.٠٠٠
تونكان مسلمو الصين	٩٥٠.٠٠٠	داغور	٥.٠٠٠
منغول	٣٢١.٠٠٠	روس	٤.٠٠٠
قرغز	١١٩.٠٠٠	تتار	٤.٠٠٠
شيوة	٢٩.٠٠٠	اجناس مختلفة	٤.٤٠٠
تاجيك (مقابل)	٢٩.٠٠٠	٥.٣٤٦.٠٠٠	صينيين ولكن الواقع والحقيقة ان عدد الصينيين تزيد
اوزبك	٩.٠٠٠	سنة عن هذا العدد	

بينما عدد التركستانيين ومن كل الجنسيات التركية الاخرى تزيد عن عشرين مليونا من الانفس . حيث ان الوفد الرسمي الذي قدم الى المملكة العربية السعودية اعترف في احد تصريحاته بان التركستانيين يشكلون اربعة عشر مليونا من الانفس.بينما الكتاب الرسمي الصادر من حكومة الصين المركزية. وهو احد الكتب الخمسة للاحوال لعامة - على حد قولهم - يقول الكتاب غير هذه الارقام».

في التركستان الشرقية «اربعة عشر جنسيات

«كلمة استنكار قالها الدكتور مسعود صابري عام ١٩٣٩ م في مدينة نه نجين «ونحن التركستانيون كنا متخوفين من تقسيم بلادنا الى الجنوب والشمال جغرافيا. ولكن الصين المركزية قسمتها على ستة قوميات وهي:

اللاويغور - قازاق - قرغيز - تاجيك - تونكان - منغول. تحت صفة اوبلاص بمعنى منطقة (وقديما قسم الاتحاد السوفياتي التركستان الغربية الى خمس مناطق: تركستان - تاجكستان - ازبكستان - قرغزستان - قازقستان) وان هذه المناطق (اللاويغور) في التركستان الشرقية ترتبط رأسا بحكومة بكين وكلنا قرأنا حكاية الثور الابيض والاسود بصحبتهما مع النمر الفدار وهي من حكاية كليلة ودمنة. وفي الحقيقة كانت هناك خمسة من الاثيران يعيشون في غابة معشوشية حتى دخل عليهم النمر الماكر الفدار ففرق وحدثهم وتنفر رفقتهم وفرق بينهم بالالوان. فاكل ابيض بموافقة الباغ وهكذا دواليك. وكان الثور الاسود اخر الضحايا فقال قولته المشهورة (اكلت يوما الثور الابيض..). وهكذا تطبق الصين كما طبقت روسيا الحكاية الهزلية. ولكننا مؤمنون بالله جميعا ونقول ومكر الله والله خير الماكرين. والحكاية وتطبيقها لم ولن تنطلي علينا بياض الله.

وبعد ١٨٧٧ م وفي عهد امبراطور الصين القاصر، كونكشوي وقائده زوزونك تانك العسكري المحارب في القسم الشرقي من تركستان استولى عليها بموت «يعقوب بك بدولت» وعندها بدل اسم تركستان او دولة كاشغر الى سنكيانج، بمعنى «الارض التي ضمت عنوة او فتحت عنوة». وان اللفة الصينية لا تملك حروفا معينة وانما هي تميل الى الهر وغلوقية القديمة تطلق رسم الشيء على الشيء وكلمة عبارة عن مجموعتين من التشكيل لغير متجانس والمجموعة الثانية تضم مفردتين المفردة التابعة تشبه مضرب الحلق «حلق القطن» وهو يشبه مفرد الخميرة من الخشب الفليظ، جلده لمساء بحيث لا يخدش وتر آلء الحلق. فالمفرد المرادفة للمجموعة الثانية من كلمة () عبارة عن عنوة وفي هذه الايام ارى الكلمة او المجموعة الاخيرة بدون مرادفها () العنوة فسئلت احد المثقفين هل ان هذه الكلمة اقتصرت؟ فأجاب بلا؟ بل قال ان هذا الحذف سياسة مضللة. بان صمرت للصحف والنشرت الصينية والكتاب الاوامر بترك الرديف هذا بحيث لا تبني الكلمة برديفها العنوة. اي القوة.

«الصيني المنصف ومصيره»:

سمعت من بعض المثقفين التركستانيين بان هناك في الصين من اتصف بالعدل والانصاف وذلك بناء على قصة واقعية قبل سنتين او ثلاثة. ان زوجة رئيس وزراء الصين السابق شوئني لاي قدمت الي تركستان الشرقي في مهمة رسمية طبعا بعد وفاة زوجها) والقت محاضرة في مدينة «شي خنزرة» وهي مدينة بترولية حديثة قارغلق يحرم على التركستانيين السكن فيها فهي خاصة للصينيين. واعتقد انها بالمقارن وعن انصاف قالت في محاضرة ارتجالية ان اهالي تركستان (سينكيانج) حرروا من ابسط حقوقهم بالمواطنة منذ عهد امبراطورية مانجو - في القرن الماضي. وحتى الان فمن الانصاف بل من الواجب على حكومة الصين المركزية ان تعترف لهم بالحقوق الشرعية فتعرضت لسخرية الحكام الصينيين واوذيت وابتعدت عن بعض صلاحياتها كعضو في الحكومة.

«تصين تركستان الشرقية تقضي عن الحكم الذاتي المزيف»:

ومن منطلق الاكثرية الصينية - يلفظ الحكم الذاتي انفاسه الاخيرة ان عاجلا او آجلا وانه مستقبل امتنا الاسلامية قاتم جدا من ماضيها المظلم الهالك. وقد تجسم اماها الموت البطيء الشرس وسياسة الامحاء قابضة بزمام الامور. وقديما قال شاعرهم :
اما تحري بها في الفاق من خبر

فلرضك احتلت فاحجز من الفجر

ترجمة : امين اوغلو

تنويه

- ١- ييون : عملة الصين الشعبية.
- ٢- رسم الكتابة الصينية لكلمة (سنكيانج) وما اعترافها من تغيير مؤخرا قد نشرت في النص التركستاني (الايغوري) في العدد ١٥ من هذه المجلة.

«الاستعمار»

بقلم: الله وردي

اختلفت حضارة الشرق والغرب منذ القدم ونتج عن هذا التباين اتصالات اقتصادية وتنافس تجاري، فقد غدت واثارت الاساطير العجيبة عن الللي واللماس والطور والتوابل والذهب اطماع الدول الاوربية والهبث خيال شعرائهم «وحفدت» تجارهم، وكان هناك طريقتان للاتصال التجاري بين الشرق والغرب. احدهما يمتد من سواحل البحر المتوسط وينتقل الى البحر الاحمر او الخليج العربي ويستخدم طريق البر بينهما. وكانت الدول الاسلامية هي التي تشرف على هذا الطريق - اما الطريق الثاني. فهو الطريق البحري الذي يمتد من اوربا الشرقية الى الصين والهند عبر تركستان الاسلامية - نشطت التجارة كثيرا على الطريق

الاول فقد كانت البحار اسهل وسيلة من اختيار الطريق البري الطويل، وكان التجار - المسلمون نشيطون جدا في رحلاتهم التجارية بين الشرق والغرب والدول الاسلامية شديدة - البأس فقوافل التجار المسلمين تتمتع بالحماية والسلامة في البر والبحر - وكان التجار المسلمون آمينون ومخلصون في تجارتهم وبأهرون في أعمالهم.

زادت اتصالات الاوربيين بهذه المنطقة الاسلامية وبالتالي اخدت تزداد اطماعهم في التجارة ويشتد حقدهم على حضارة الاسلام مما اثار كرههم انتصارات المسلمين في اوربا و آسيا وافريقيا وانطلاق نور الايمان في كل ارجاء العالم حيثما رحلت اليه قوافل المسلمين، فنشأت من جراء هذا الحقد الحروب الصليبية التي استهدفت السيطرة على العالم، وقد قابل المسلمون هذه الغزوات بكل قوة وبسالة، حتى يأس الاوروبيون منهم. فبدأت الاستكشافات الجغرافية على طريق جديد. ووصل فاسكود جاما الى كلكتا عام ١٤٨٩ عن طريق رأس الرجاء الصالح، ثم اتجه كريستوفر كولمبس الى امريكا عام ١٤٩٢ معتقدا وصوله الى الهند. وقد اثار هذا النجاح روح المغامرة البحرية الى حد هائل فدار ماجلان عام ١٥١٩ حول الكرة الارضية مستكشفا طريقا جديدا عبر المحيط الهادي الى الهند ودول آسيا.

ومع هذه الاستكشافات الجغرافية نشطت التجارة الاوربية التي رأت ضرورة السيطرة العسكرية على مصادر الانتاج ومواقع التجارة الاستراتيجية وعلى المسالك المؤدية حتى تأمن العبور بسلام. وتم هذا الغزو بشتى الوسائل الاستعمارية من حروب الى اغتنام الخلافات الداخلية الى المعاهدات الغير متكافئة. وكان رائد الاوربيين في توسعة محاربة الاسلام التي اكدها قرار بابوي صدر عام ١٤٥٦ يحض على مهاجمة الاسلام ويعلم استمرار الحروب الصليبية، ورغم المقاومة الشديدة التي قامت بها دول العالم الاسلامي ضد هذا الغزو الاوربي الا انها وقعت اخيرا فريسة الاستعمار الصليبي. ومع الاختراعات العلمية التي نشأت في الغرب تزايد احتياج الدول الاوربية الى المواد الخام والعالم الاسلامي غني بهذه المواد ومن ثم هو من اهم مراكز التسويق ايضا فاستدت رغبة الدول الاستعمارية بالبقاء في هذه الدول المستعمرة ولكن الاهالي قابلة هذه الرغبة بالثورات والنضال المستمر حتى اضطر الدخلاء الى الجلاء من معظم الاراضي الاسلامية. منذ اربعينات القرن العشرين وبدأ هذا الشبح المخيف يتقلص من معظم اجزاء القارة الافريقية والآسيوية. ولكن أبى الاستعمار الاوربي ان يخرج من العالم الاسلامي بدون ان يترك مضحات للشر حتى لا يعيش المسلمون في وحدة وتعاون لكي يؤدوا - رسالتهم الاسلامية السامية في هذه الحياة، فاستبقى بعض المناطق الاسلامية تحت الخلافات والمنازعات الدولية. اما الطريق البري فقد كان يقتضي القيام برحلات طويلة عبر الاستبش المرتفعة والصحاري التي تمتد من اوربا الشرقية الى الصين والهند وتشرف على هذا الطريق الدول - الاسلامية التركية في قازاق واستراخان وسيبيريا وتركستان. وقد كان اختراق هذه الهضاب المكشوفة ميسورا بفضل القوافل التي تستخدم الجياد لان تركستان هي موطن الحصان الاصلي وقد نشأت بعض الدول عند سفوح الجبال حيث تتصل بالهضاب مثل قازان وسمرقند وكاشغر وخوتن وهي محطات في مواقع مناسبة للوقوف بها على طول المسالك البرية.

اشتهر هذا الطريق باسم طريق الحرير العظيم، فقد كانت تجارة الحرير رائجة بين الصين والهند وأوروبا، واخترق الأوربيون هذا المسلك منذ القرون الأولى قبل الميلاد ومنه انتقلت الحضارات الغربية إلى دول الشرق الأقصى وكذلك الحضارة الشرقية إلى الدول الغربية وما إن بزغت إمبراطورية المغول الشاسعة على مسرح التاريخ حتى تشجع الأوربيون - لاجتياز الإمبراطورية، وقد كان جل هدفهم إدخال المغول إلى المسيحية، ونجح المبشرون السطوريون في البداية، واعتنق بعض أمراء المغول المسيحية، واستغل المسيحيون هؤلاء - الأمراء في محاربة الإسلام لقد أقنع هيتون (HAYTON) ملك أرمينيا المسيحي مانجوخان (١٢٤٨ - ١٢٥٧) على إرسال تلك الحملة فدمرت بغداد بقيادة هولاكو (١٢٥٦ - ١٢٦٥) ولكن انتشار المسيحية بين المغول لم يستمر فقد أذعن هؤلاء المغول والقبائل المتبربرة - آخر الأمر للإسلام، التي ساموها الخسف والاضطهاد بل انقلب أمراؤها دعاة إسلاميين مثل بركة خان وتيمورخان. ولكن هذه الإمبراطورية التي ضمت الصين وامتدت إلى روسيا وإيران انهارت إلى دويلات مستقلة في منتصف القرن الخامس عشر، فتجزأت دولة التون أوردا إلى أربع دول - تركية الأولى في قازان حول نهر الفلغا الأوسط والثانية في استراخان عند مصب نهر الفلغا والثالثة في شبه جزيرة القرم والرابعة في سيبيريا، وفي غضون هذا القرن تمكنت أحد الإمارات الروسية التي مقرها موسكو أن تستقل من المغول بمؤازرة قوية من الكنيسة الأرثوذكسية وتفوقت على الإمارات الرئيسية الأخرى. وفي عام ١٥٥٢ م اقتحم القيصر الموسكوفي إيفان الرابع (الرهيب) قازان ثم استراخان عام ١٥٥٦ م وبهذا تم الاستيلاء على حوض نهر الفلغا التركي التي تشير إليه المؤلفات والأناشيد الروسية بالنهر الروسي العظيم وظلت خانية القرم قوة رهيبة مدة - مائتي سنة أخرى تساندتهم الدولة الإسلامية الكبرى الإمبراطورية العثمانية التي صارت تابعة لها عام ١٤٧٥، وكانت الإمبراطورية العثمانية تسيطر على شواطئ البحر الأسود وتسد طريق موسكو إلى البحر المتوسط. ومع أن طرس لجكو (١٦٨٩ - ١٧٣٥) قد أحزب بعض النجاح في حروبه ضد القرم والإمبراطورية العثمانية إلا أن شبه جزيرة القرم لم تخضع نهائياً لروسيا إلا عام ١٩٨٣ م وفي خلال القرن السابع عشر استعمر الروس خانيات سيبيريا وقضوا على دولة بني بك قوندي - الإسلامية ووصلوا إلى نهر أمور في لشرق الأقصى حيث وقعت عام ١٦٨٩ م معاهدة نوشينسك التي قررت حدود الإمبراطورية الروسية لمدة قرنين تقريباً مع الصين.

أما في الجنوب الشرقي فقد اتصلت موسكو بعد الاستيلاء على استراخان مع شعوب القفقاس وتحالف بعض الشعوب المسيحية في هذه المنطقة مع روسيا بينما ظلت الشعوب الإسلامية وهم الشراكسة والشيشن وشعوب الداغستان يدافعون بضراوة عن استقلالهم ضد أي قصد يفكر في غزو بلادهم وفي خلال القرن الثامن عشر خاضت روسيا حروباً عديدة مع إيران وكان الجورجيون المسيحيون حلفائهم وفي عام ١٨٠١ ضمت جورجيا إلى روسيا وفي عام ١٨١٣ استولت روسيا على أذربيجان الشمالية بما في ذلك شبه جزيرة باكو وطيلة النصف الأول من القرن التاسع عشر استمرت شعوب القفقاس الإسلامية في مقاومة روسيا بمنتهى العنف ولم يتم إخضاع الشيشن بصورة نهائية إلا عام ١٨١٩ والشراكسة عام ١٨٦٤ م.

وتقع إلى الجنوب من منطقة الاستعمار في سيبيريا سهول التركستان الغربية وقد كانت هذه المنطقة مقسمة إلى خانية بخارى وخانية خيوا وخانية خوقند وخانية قازاق.

وفي عام ١٨٦٠ م قررت الحكومة الروسية ضم تركستان الغربية إليها وبرر وزير خارجيتها ذلك بضرورة تأمين حدود روسيا في مذكرة وجهها عام ١٨٦٤ إلى الحكومات الأوروبية وقال إن اختبارات بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة - دلت على أنه كلما حصل اتصال أو احتكاك بين دولة متقدمة وشعوب بربرية فلا مناص للدولة المتقدمة من توسيع حدودها باستمرار لكي تحمي رعاياها وتقع الغزو. وقد اعتبرت الدول العظمى هذه الحجة معقولة تماماً في ذلك الزمن ومتفقة مع ما تمارسه كل منها وهكذا استولى الروس على طاشكند عام ١٨٦٥ وصارت عاصمة تركستان الغربية وفي عام ١٨٧٣ م بعد حملة قيصرية فرض الروس على خانيات جيوا وبخارى معاهدات نصت على أخذ الأراضي وتعويضات مالية منهما، ووضعت ماتبقى منهما من الأراضي تحت الحماية الروسية وفي عام ١٨٧٦ م أدمجت إمارة خوقند في الإمبراطورية الروسية الاستيلاء على بقية التركستان الغربية بين ١٨٨١ و ١٨٨٤ بقتال مرير مع التركستانيين.

ولم يكن توسع موسكو قاصرا على الشرق والجنوب فقط بل اتجهت الى الغرب الى الدول الاوربية الشرقية فاستولت على اوكرانيا عام ١٦٥٤ وضمت لتوانيا عام ١٨١٥ والى الشمال من لتوانيا كانت - لاتفيا واستوانيا فضمتهما روسيا في القرن الثامن عشر.

وهكذا نمت امارة موسكو خلال ٤٠٠ سنة حتى صارت امبراطورية روسية كبيرة لا مثيل لتوسعها الجغرافي - اما الوسائل التي اتبعتها فلم تكن بريدة من نوعها اذ كان نوع من اساليب التوسع والاستعمار في تاريخ الدول الاوربية وجد له مثيلا في اساليب روسيا فتاريخ الروس ليس افضل من تاريخ الآخرين بل افزع استعمار هذه التاريخ بينما اكتفت الدول الاوربية بالاستعمار الاقتصادي والاستغلال التجاري نجد روسيا تبلغ هذه الدول الاسلامية التي كانت تمتد من امارة موسكو الى مضيق برنج ومن منطقة المتجد الشمالي الى ايران وافغانستان وتحاول جاهدة على طمس معالم هذه البلاد الاسلامية. بينما نجد الدول الاسلامية التي منيت بالاستعمار الاوربي تستقل واحدة تلو الاخرى فروسيا تكتم انفس الشعوب بالحديد.

اما الصين فلما تقل استعمارية عن وسيا، فعندما وصل الروس الى ملتقى نهري أمور وأوسوري كانت الاراضي التي على جانبي النهرين مسكونة بقبائل من سكان آسيا القدماء مثل النيفكي والجيليان فضمت للصين هذه الاراضي اليها في القرن السادس عشر ثم ضمت اليها كوريا، ووقعت مع الروس معاهدة ترشينسك على تقسيم منشوريا، وقبل ان يصل الروس الى بحيرة اوختك بخمس سنوات كان المانشور قد استولوا على بكين بمساعدة المغول وأسسوا أسرة تشنج او أسرة المانشور - ونتيجة لهذه الحوادث بادر القيصر في موسكو بارسال بعثات الى بكين لانشاء علاقات دبلوماسية مع المانشور. وبعد تفكك المغول نشأت امارات مستقلة في منغول الداخلية حيث قامت دولة القالموق او ايلون كما تسميهم المصادر الصينية وامتدت نفوذ هذه الدولة الى الجزء الشرقي من تركستان الشرقية بينما قامت الدولة السعيدية في بقية اجزاء تركستان الشرقية، وقامت حكومة دلاي لاما التوقراطية في التبت وخانيات المغول في منغوليا الخارجية وعلى اثر وفاة قونتاجي ملك القالموق وقع النزاع بين ابنيه على العرش فاستولت الصين منتهرة هذا الخلاف على منغوليا الداخلية عام ١٧٥٧ فرحل كثير من القالموق الى حوض الفولغا فقد كانت علاقاتهم طيبة مع الروس. وقد كان لامبراطور كانج هس قد غزى منغوليا الخارجية عام ١٦٩١ وفي اكتوبر ١٧٢٧ وقعت معاهدة كياختا التي بموجبها تم تقسيم منغوليا الخارجية بين الصين وروسيا فضم الروس منطقة اوربانفاي اوتوفا اليهم بينما بقيت منغوليا الخارجية تحت سلطة الاستعمار الصيني حتى استقلت عام ١٩٢٢ م بمعونة السوفييت.

اما التركستان الشرقية فقد منيت هي الاخرى بالخلاف الناجم بين الخوجوات الدين تطلعوا الى اغتصاب الحكم من الدولة السعيدية عام ١٦٨٧ وساعدت الحروب الداخلية الصينيين - الدين دخلوا التركستان الشرقية بقيادة جي ز او خوي عام ١٧٥٨ وبعد معارك طاحنة تم لهم الاستيلاء وبعث الصينيون برأس الملك برهان الدين خان الى امبراطور الصين في بكين. وغزت الصين التبت عام ١٧٥٧ على اثر إنها دولة القالموق امام قواتهم الفازية. وظلت تكافح الغزو الصيني وقد نجحت ونالت استقلالها احيانا ولكن الصين الشيوعية ابتلعته عام ١٩٥٠ م وهرب الدلاي لاما الى الهند حيث يقود حركة التحرير. ولم يكن هذا التوسع نحو الاقاليم الغربية فقط. بل اتجهت الصين الى الشرق حيث ضمت كوريا وجزيرة فورموزا في القرن السادس عشر، ان سجل التاريخ الصيني سجل استعماري كسجل اية امة كبيرة اخرى ومع ذلك فان المؤلفين - الصينيين يصرون على الرغم بان الصينيين شعب لا يمكن ان يقدم على الاعتداء وان الشعوب غير الصينية قد انضمت بارادتها واختيارها. وبل يدعى غلاتهم ان هذه الشعوب وهي التركية والمغولية والتبتية والمانشورية - هم سلالاة من العنصر الصيني وبهذا لا يستحقون الاستقلال، والاستعمار الصيني لامثيل له في التاريخ ابداء، واذا كان الاستعمار الاوربي استعمارا اقتصاديا وسياسيا فالاستعمار الصيني بكل اقصى المحاولة في تصنيف شعوب هذه الدول بتهجير الجاليات الصينية الى هذه المناطق ونقل العائلات الاجنبية الى داخل الصين وسن الزواج الاجباري بين الصينيين وافراد الشعوب اللا صينية - وما زالت حكومة الصين تسعى الى محو هذه الشعوب من خارطة العالم بتغيير اسمائهم وتسيطر على تاريخهم حسب اهوائها الاستعمارية والدعاية المفرضة لتضليل الرأي العام العالمي عن حقيقة هذه الامة المميزة عن الصين كلية بشتى الصفات والروابط.

الشيخ ابراهيم بن واصل التركستاني

١٩٠٦ م - ١٩٨٨ م

ولد الشيخ ابراهيم واصل التركستاني في قصبة قيزيل بويا في محافظة فيض آباد التابعة لولاية مدينة كاشغر تبعد عن المدينة بحوالي عشرين فرسخا في الشرق، وكان ترتيبه الثالث من ابناء الشيخ ابراهيم بن واصل بن مؤمن الامام والخطيب في المسجد الجامع للقصبة، فهو اذا من بيت علم ومعرفة وكانت ولادته في عام ١٩٠٦ الميلادية وكان من احب الابناء الي ابيه خلقا وخلقا وكان يلزم ابيه منذ صباه في المسجد ومجالس للدرس والمذاكرة حتى سفرياته وروحاته وحياته. محبوبا لدى معارف ابيه وبين اقرانه وزملائه، تعلم مبادئ القراءة والكتابة والقرآن الكريم من والده، وكذلك قرأ على ابيه مبادئ العلوم الدينية مثل الفقه على مذهب الامام أبي حنيفة النعمان ومبادئ الصرف النحو. وكان شغوفاً بالعلم وخاصة العلوم العربية لاسيما الدينية منها «الحديث والتفسير وتجويد القرآن الكريم وتعلم كذلك اللغة الفارسية» وقرأ على والده بعض الكتب من الادب الفارسي. مثل كتاب گلستان للشيخ الشيرازي، وعلم الصرف العربي باللغة الفارسية.

شب الصبي واصبح شابا يافعا وكان يتردد على المسجد ومجالس الذكر مع ابيه ومن دون ابيه. وكان يؤم الجماعة بالفرائض - اقصد الصلوة المفروضة - عند غياب والده، وكذلك صلاة التراويح في شهر رمضان. ثم بعد ذلك الجمعة والجماعة. وصار يؤلف خطبة الجمعة ويلقيها. وعلى مرور الايام أحب الاستزادة من العلم والمعرفة من منابعها فصار يبدي رغبته لوالده آناء الليل واطراف النهار، لعله يستجيب لمطلبه حتى صارت والدته تتوسط بين الابن وابيه كان يريد السفر الى الهند. وفي سنة ١٩٢٦ م وبعد سماح والده له بالسفر، وصل الى الهند وكانت المدارس في عطلة الصيف. وكان وصوله الى الهند في اوائل شهر شعبان ثم اقبل شهر الصوم وموسم الخير والعبادة فكان حينه الى المسجد الحرام لاداء مناسك العمرة واداء فريضة الحج وقد تم له ذلك.

وعند قدومه الى مكة المكرمة بدأ بالعمرة مرات ومرات كعادة اهل الآفاق طيلة الرضمان المبارك الشهر الكريم. وكانت رغبته تزداد يوما بعد يوم حتى انتهى موسم الحج من تلك السنة والتقى بصفوة من المعارف والخلان من الطلبة في الحرمين الشريفين حتى انجذب اليهم واستقر رأيه على التحصيل في المدينة المنورة على ساكنها افضل الصلاة والتسليم. ومن عجيب الصدف زامل معالي الاستاذ محمد عمر توفيق والشيخ العلامة عبد القدس الأنصاري في حلقات الحرس ومدارج المدارس العليا الاعدادي والثانوية العامة في تلك الحقبة من الزمن. ولكن الشيخ ابراهيم وهو شاب لم يتعد الخامسة والعشرين من عمره عديم الزاد وفي شظف من العيش وعسر في الحالة الاجتماعية شغوفاً بالعلم واهله ومناحله مواظبا لدروسه رغم فقره المدقع وصبر وصابر فأخذ يعمل في بعض المقاهي في اطراف المدينة وفي بعض الحرف اليدوية مثل النجارة وحلج القطن والافران لاجل لقمة العيش وقد تواترت عنه انه كان يشتغل عند احد من النجارين الحرفيين بمكة المكرمة مقابل اربعة قروش سعودية وكان من نصيبه العمل على المنشار العريض لشق الاخشاب الفليضة لفرقة النوحا. وكان العمل محسوبا عليه بالكم والكيف. حيث يحكى انه كان يعمل ست ساعات متواصلة فوق المنصة الخشبية (البنك) بحسب المنشار ليستحق الاجر الذي يسد به رمقه.

وبالرغم من قسوة الحياة كان الشيخ ابراهيم يجابه ظروفه ويروض نفسه على التقشف في اكثر ايامه.. ويحفل معترك الحياة مع نفسه على انه الجهاد الاكبر. وكان يتراعى لسمعه مراحل التحصيل ومناهج التعليم في مصر الكنانة من طلبة جامع الازهر الشريف وعن علمائه الكرام الذين يأتون من هناك لتأدية العمرة وفريضة الحج. وكان كثير الاتصال بهم والقيام ببعض خدماتهم لحبه فيهم وفي العلم بالذات.

وما ان فكر في الذهاب الى القاهرة المعز حتى ارتعدت فرائضه من هول الفراق والبعد عن الحرمين الشريفين ويتراجع عن فكرة السفر، وتحثه نفسه الطاهرة لمزيد من التقرب الى الله والاستعانة به في الاكثار من الطواف ونوافل العمرة ولم ي تخلف قط عن الحج طيلة اقامته

في الحرمين الشريفين قرابة ثمانية سنوات او تزيد قليلا. واثناء ذلك تعارف على شخصيات

كبيرة من اهل مصر ولأسيما العلماء والطلبة منهم، وكذلك من الاقطار الاسلامية الذين يدرسون في الازهر الشريف فزاد شوقه ونمت رغبته في السفر الى القاهرة والى الجامع الازهر ولكنه يكبح جماح رغبته بايثاره مجاورة البيت العتيق والروضة المشرفة حتى انه يكرر الطواف حول الكعبة بما يزيد عن عشرين مرة في اليوم. ويغالبه البكاء تارة وتارة ينفجر باكيا رهبة من رحيله الى مصر وفراقه الاراضى المقدسة المحببة لنفسه الزكية الطاهرة، ولكن حبه في العلم والاستزادة من المعرفة جعله يسافر الى القاهرة عام ١٩٣٥ م وانتظم في الجامع الازهر حتى تخرج منه عام ١٩٣٩ م، بدرجة ممتاز جدا في العلوم الشرعية والقضاء واللغة العربية و فقه السنة - الحديث و التفسير وبعض الرياضيات وعلم الجغرافيا والتاريخ والعروض.

وكان له نشاط بارز ومحمودا عليه وهو طالب بالازهر الشريف حيث كان ينظم حفلات لمناسبات عدة ومنها ما قام به عام ١٩٣٨ حفل تابين لشهداء التركستان المسلمة وخطب في الحفل ارتجالا خطبة حماسية مما حدا بالجرائد المصرية كلها بالحديث عنه.

وكان من اساتذته الشيخ المفسر طنطاوي الجوهري وكان مصاحبه في اكثر سفرياته وتنقلاته داخل مصر وخارجها. واشتغل في التنظيمات التحريرية في أندية الشباب الاسلامي ودخل في صفوف الاخوان المسلمين منذ ايامه الاولى وكان ديدنه الارتقاء بالدين واعلاء كلمة التوحيد القرآن في سائر الاقطار الاسلامية. وكان يواصل ليلة بنهارة في خدمة الاخوان وتنظيماته الادارية والفكرية وتحريباته التعليمية والعسكرية ونشاطه الاجتماعي ودعوته الخالدة فصار من المقربين لمرشد الدعوة فضيلة الشيخ سن البناء. ثم تولى شعبة الاخوان في بلدة اسيوط للدعوة والا رشاد واعظا و مرشدا وامير الجماعة. وامين القسم الاداري والمتصرف في أمور التنظيم حتى جاء دور الاخوان في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ فكان نصيب الشيخ من الخدمة التموين العسكري ولوزم الميدان والعتاد الحربي وامين المشتريات في السويس والاسماعيلية غربا والقنطرة شرق قناة السويس. وكان من رغبته الانخراط في الميدان كجندي يحارب ولكن الانظمة الادارية حالت دون ذلك. وكان من اول الحاملين للجثمان الطاهرة للشيخ حسن لبناء عند استشهاده فلم يبرحه حتى ايداعه مثواه الاخير. وكانت الخسائر الجسيمة للامة الاسلامية بضياع فلسطين عام ١٩٤٨ م قضية الامتحان للامة العربية وللسلامية وانه مفتاح القضايا لاسلامية في جميع اقطار الارض مثل قضية كشمير وتونس والجزائر والقضايا المستعصية مثل قضية التركستان الكبرى و قريم و قافقاسية واديل ارال واذربيجان الاسلامية.

ولم تخب جدوة ايمانه حتى تكونت (جمعية الكفاح لتحرير الشعوب الاسلامية) يرأسها العلامة صاحب حزب الامة المغربي علال الفاسوالعالم الفقيه وكان المجاهد الباسل الحاج محمد امين الحسيني مفتي فلسطين و كثيرين غيرهم من امثالهم. وكان دورة فيهم اللولب والمحرك يتوقد نشاطا وحيوية حتى انتدبته الجمعية الى كثير من البلاد الاسلامية وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية فقدم المملكة عام ١٩٥٣ بدعوة من معالي الوزير للطام الشيخ عبدالله بالخير ومعالي الشيخ محمد بن مانع مدير المعارف العامة انداك. وكان كاتب السطور من مرافقيه في كل الصلات والمقابلات الشخصية له كسكرتير. وفي هذه المرة مكث كثيرا في المملكة وذلك لانتظاره بعضا من المؤتمرات ضيفا مكر ما على حكومة المملكة العربية السعودية وقد قابل جلالة المغفور له الملك سعود بن عبدالعزيز ونال من جلالاته كل تقدير واحترام ونال من جلالاته بعضا من الهدايا الملكية منها طاقم ملابس ومشلع وساعة ذهبية وميدالية برونزية التي اعدت للشخصيات الاسلامية بصفته مندوبا عن جمعية الكفاح لتحرير الشعوب الاسلامية ومركزها القاهرة المعز الدين الله.

وفي عام ١٩٥٣ صدر مجلة باللغة العربية تحت اسم صوت التركستان. وفي عام ١٩٥٤ م اصدر منها عددا خاصا للمملكة العربية السعودية. وقد زار الشيخ حينما كان في زيارة المملكة معالي الشيخ محمد عمر توفيق في مكتبه بالنيابة. الفزة. وكذلك في بيته معاليه بربيع الرسام - وقد كنت برفقته في كلا الزيارات. وكذلك خاشقجي وكيل وزارة الصحة السعودية في مكتب سعادته في عمارة القامة بالقرارة المبنى الذي اصبح فيما بعد مستشفى للرمم. وصدرت من مجلته صوت التركستان عشرات الاعداد وكانت سياسية وأدبية

واجتماعية. وكان من زملائه الشيخ يونس و الاستاذ عبدالعزيز محزوم الشهير بجنكيزخان. والشيخ عبدالاحد حامد وكيل الجالية التركستانية بالمملكة العربية السعودية، والاستاذ محمد سعيد اسماعيل، والشيخ عبدالله قاري والد الاستاذ عبدالحق قاري. ومن مشايخه من علماء التركستان بمصر الشيخ مبشر الطرازي.

وقد كتب عدة كتب اعلامية باسم الجمعية «جمعية الكفاح» واشترك في العديد من المؤتمرات الاسلامية المحلية في الوطن العربي الاسلامي وكالة عن الجمعية. وتزوج بسيدة تركستانية من عائلة عريقة ولاتزال. ولكن اصابته رهبة من حركة تصفية الاخوان المسلمين في مصر فلزم الصمت واختار المعزلة الكلية حتى من المعارف والاصدقاء وانكب على المطالعة وقراءة القرآن. وامضى اكثر اوقاته في فيلا نائية من ضواحي القاهرة. ولم يقبل احدا لزيارته واشتغل بالزراعة حيث استأجر مزرعة بسيطة وسلك في سلك الفلاحين سنين عدة وقطع المراسلات نهائيا. وكان قد اشتغل بالتجارة في الاربعينات واسس مؤسسة لصناعة النسيج والطباعة على القماش وازدهرت تجاريه لعدد من السنين وكان يعمل تحت يده عمال هرة وعربة لتنقلاته وعربة نقل كبيرة.

وبعد حركة تصفية الاخوان بقي الشيخ تحت المراقبة من قبل المباحثات ودرج اسمه في قائمة الممنوعين من السفر. حتى عام ١٩٦٩ م. وشاء القدر ان ينجو من زبانية الرئيس الراحل عبدالناصر. وبفكرة قادر وبحكمه من الله شاءت اراده الله ان يتزوج احد الضبات الاردنيين بأنسه من مصر وكانت من بنات جارهم، واحتاجوا المرافقة امرأة في ذهاب العروسة الى الاردن فاعتنم الشيخ الفرصة ووافقت زوجة الشيخ لمرافقة العروسة الى عمان. وهنا تدخل القربان اخذ الضابط العريس الجوازات السفر لادارة الجوازات للتأشيرة عليها وكان من ضمنها جواز الشيخ وكانت التأشيرة لخمس عشرة يوما ولحالة استثنائية في مثل هذه الحالات مرافقة العروسة فلحقت التأشيرة لجواز الشيخ وربما كان عفوا على ستعجال فخرج الى عمان برفقة اسرة الضابط وبرفقته اي الضابط العريس. وفي نهاية المدة وهي خمسة عشر يوما رجعت المصونة حرم الشيخ واستنجد الشيخ بالسفارة السعودية بعمان شارحا وضعه فلم يكن من سفير السعودية الا الاذن له بالسفر الى المملكة بقصد العمرة كسائر الاحوال العادية. وعند حضوره الى المملكة اتصل فوراً لمعالي الشيخ محمد عمر توفيق في داره العامر بجدة وهو وزير المواصلات انداك فاخذ له حق الإقامة من مقام وزير الداخلية في اليوم التالي للزيارة. اقامة دائمة مسموح له بالعمل. ثم استقدم زوجته من مصر واقام بالمملكة حتى الان. ولكنه أصيب باصابة خفيفة في عينيه سافر للعلاج الى تركيا مرات ومرات واجريت له عملية جراحية عدة مرات ايضا ثم اصابه شيش من زوغان الدماغ ولا زال به حتى توفاه اجله في صباح يوم السبت الموافق ١٤٠٨/٥/٢٠ تفهد الله بواسع رحمته ورضوانه.

وكان في طيلة اقامته في المملكة مشغولا بالحراسة حيث يلتقي المحاضرات ولا سيما في مجالس الاخوان التركستانيين المقيمين بالمملكة ومنهم اعداد كثيرة في مدينة الطائف. وظل مجلسه هدف القاصدين من محبيه ازاد الله له فضله.

(السنوات الاخيرة من حياته في مدينة الطائف، ووفاته)

* لم تخل حياته الاخيرة من كيد بعض المكيديين والحاقدين عليه. حيث كالوا عليه واهانوا كرامته وقضوا على حريته بعضا من الوقت لفرض دفين وقصد مشين. ولكن الله اخذ بيد الشيخ الوقور الكريم وعاش معززا ومحترما بالرغم من زوغان الدماغ. والعجيب في الامر لم يجد قط عن خط نضاله وكريم فعاله والفريد من خصاله والدعوة الاسلامية ووحدة الصف والنضال. وكان شعاره الاية الكريمة (ياأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم). وخط سيره (العزة لله ولرسوله وللمؤمنين)..

ففي أوائل عام ١٤٠٧ هـ فقد التوازن في حركاته لحاجته اليومية وبدأت ضخامة الجسم وثقل الواجب على زوجته المصونة الكريمة وخاصة لم يرزقا بذكر أو أنثى طيلة حياتهما الزوجية التي دامت قرابة أربعة واربعون عاما. وقد شق عليهما ان يأتي في البيت من يخدم الشيخ ويقوم بأوده. عندما اجتمعت الآراء على ان تأتي بالشيخ الى دار العناية التابعة لدار الرعاية الاجتماعية بالطائف. نزل فيها نزول ضيف كريم وعلى الرحب والسعة. وكنا نزوره

بين الحين والآخر، وقد أتعده الهزال ولم يكن بمريض مرض عضال، إلا أنه كان سبب ختام رحلته ووداع أهله وعثرته وذلك صباح يوم السبت الموافق ١٤٠٨/٥/٢٠ هـ الموافق ١٩٨٨/١/١٠ م ودفن جثمانه الطاهر في مقبرة حبر الأمة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما بعد صلاة الظهر من ذلك يرحمه الله رحمة واسعة.. اللهم اغفر له وارحمه، واكرم نزله ووسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد. واجعل مرقد روضة من رياض الجنة. انك سميع مجيب الدعاء.

كلمة وداع

بوركت في مثواك تعلق قامة	قد عشت دوما للفتة والتبيان
يا بلسم الجرح تعلق هامة	علم الجهاد، صوت تركستان
قد نلت مانال الكرام قديمهم	بكفاحك الميمون للايمان
قد ذل من نصب العداء في ساحة	فيها المجلى لقائد الفرسان
أما حنينك لارض تلك المسجد	تتراك محروسة بسواعد الفتیان
رفعوا لواءك عاليا خفاقة	رسموا الطريق ببسالة وامان
نم قرير العين وهذه روضة	قد كنت تصبوها بدالك الآن
	محمد قاسم امين تركستاني
	جيده